ما تبقى من ذكريات

د. رفعت السعيد

سنابل للكتاب
٥ شارع صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة

الإدارة:
(+202) 23 92 65 93
(+202) 01001094302

المكتبة:
(+202) 23 93 56 56
E-mail
Sanabil_bookshop90@yahoo.com
Ahmed_mmorgan@yahoo.com
Face: sanabil bookshop

المدير العام:
أحمـد مرجـان

ما تبقى من ذكريات

المؤلف:
د. رفعت السعيد

رقم الإيداع: ١٩٠٧٠ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي: 978-977-5255-26-6

الطبعة الأولى: ٢٠١٦
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

السعيد.. رفعت
ما تبقى من ذكريات/ رفعت السعيد
تأليف: رفعت السعيد
القاهرة: سنابل للكتاب، ٢٠١٦
١٦٠ صفحة ١٤ × ٢٠
تدمك: 978-977-5255-26-6
١- مصر - الأحوال السياسية- مقالات ومحاضرات
٢- السعيد، رفعت - المذكرات
٣- السياسة، مقالات ومحاضرات
أ- العنوان
(٣٢٥,٩٦٢)
رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٩٠٧٠
I.S.B.N 978-977-5255-26-6

ما تبقى من ذكريات

لماذا؟ وكيف؟

فى لمسات الحنان الأخيرة قالت ليلى بما يشبه الإلحاح الهادئ حاول أن تكمل مذكراتك. ولما شعرت بترددي، استعادت معى حكاية انغماسى فى كتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ثم توقفى بسبب انشغالات عديدة عند عام ١٩٥٧.. بعد أن أكملت المسافة من ١٨٩٤ وحتى ١٩٥٧ واستغرقت من وقتى وجهدى وعزلتى عن العالم سنوات عدة، فإذا بالبعض الباحث عن أى مأخذ يأتى ليؤكد أننى أخشى من المزيد فى الكتابة حتى لا اقترب من قرارات حل التنظيمات الشيوعية لكى لا أسجل على نفسى حماسا للحل "ورغم أننى رفضت أصلا الحضور فى الاجتماع الشهير الذى اتخذ قرار "إنهاء الوجود التنظيمى للحزب؛ رافضا أن يكون اسمى ضمن من فعلوها. ورغم الوثيقة الأصلية لهذا القرار وعليها أسماء

الحاضرين كانت تحت يدي. ومع ذلك ترك البعض كل الجهد الذى بذلته، وكل التاريخ الذى دونته عبر سبع كتب ضمت آلاف الوثائق النادرة التى بذلت فى استنقاذها من الضياع جهدا لا أريد أخوض فيه حتى لا أتهم بالمبالغة، تركوا كل ذلك وتمسكوا باختراع وهمى حول خوفى من التطرق لفترة تنتهى بقرار إنهاء الوجود التنظيمي". وفيما استشعر غيظا عدت إلى الانغماس الممتع والمرير لاستكمل وأصل إلى ما تصور البعض أننى أخشاه فإذا به يمايز بين موقفى الشخصى وبين مواقف الآخرين. ولا يمكن بالطبع أن أنسب استمرارى لإنجاز مشروع اعتبرته مهمة حياتى إلى مجرد الغيظ، ولكن لنقل الحافز أو أن شئت قلت "الفيروس" الكامن والذى يلهب الرغبة فى استكمال موسوعة أصبحت تقريبا المرجع الأساسى لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية" سواء للباحثين المصريين أو العرب أو حتى الدارسين من عديد من بلدان العالم. وهو "فيروس" محبب يجتاحنى حتى فى أحلامى أو تأملاتى أو دردشاتى ليدفعنى إلى أن أترك أى شيء وكل شيء كى أغرق نفسى فى بحار العطر التاريخى الذى أسعى نحو استكماله. وهو ذات "الفيروس" الجميل والممتع الذى لاحقنى بعد أن أكملت موسوعتى عن تاريخ الحركة الشيوعية" (خمسة مجلدات) كى أبدأ الكتابة عن جماعة الإخوان وعن قوى التأسلم السياسى لأنجز عددا من الكتب وآخرها كتاب موسوعى (١٠٠٠ صفحة) بعنوان "جماعة الإخوان.. المسيرة والمصير". كل ذلك جال بخاطرى فى جلسة هادئة، وحانية وهى تحاول إقناعى

بأننى توقفت بمذكرات عند زمن حرج.. وأننى أحتاج أن أكمل حتى أوضح أمورا خافية كنت أهمس بها إليها ثم قالت لتحفزنى "ممكن يقولوا إنك خايف من الكلام على علاقتك بالمجلس العسكرى وما كان فيها من مشادات قد تغضبهم الآن والرئيس السيسى فى السلطة". واتفقنا.. على أن أبدأ فى استكمال ما لم يكتمل من ذكريات.. لكن تداعيات المرض المتعجلة والتى لاحقتنى قبل أن تلاحقها أنستنا معا اتفاقنا. لكن الاتفاق يظل محلقا، وقادرا على مطاردتى وكأننى أشعر بها إذ تزورنى فى أحلامى أنها تأتى لمجرد أن تذكرنى دون لوم أو غضب.

وكان أن بدأت..

* * *

ولعلى لست بحاجة إلى أن أعود لأتذكر مع القارئ التعريف الإغريقى لكلمة "استوريا" (التاريخ) والذى يقول "هو البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة التى وقعت فى الماضي" ومن ثم فإننى سألتزم كما التزمت فى كل كتاباتى عن التاريخ "بالبحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة" فقط. كذلك سأحاول الالتزام الصارم بتحذير مشيلييه أستاذ أساتذة فلسفة التاريخ والذى يقول "يتكون التاريخ من نصفين أحدهما جميل وهو الحكايات والدردشات والتمنيات، والآخر قبيح وهو الحقائق". وكما اعتدت سألتزم بالحقائق- كما أراها أنا- حتى لو تبدت صادمة أو غير متخيلة.

والآن سأبدأ .. مشحونا بطاقة الفيروس الخبيئ، وبنسيم عطر ليلى التى طلبت، وبالإحساس بالخوف من أن يأتى زمن أو حالة يكون قد فات فيها الأوان.

وفى لحظة ارتباك مليئة بالالتباس والارتباك والادعاءات والمزاعم.. قررت أن أنجو بنفسى .. لأكتب.

وكتبت.

بأمل أن يكون ما سيأتى مستحقا للقراءة.

وأن يكون إهدائى لهذه الصفحات

.. إلى ليلي.. وإلى ابننا خالد وابنتنا غادة..
وأحفادنا الأربعة نيفين ورامى خالد رفعت.. ويوسف وليلى حسام فهمى.. فلهم كل ما هو ممكن من محبة.

العاشرة والنصف صباحا (١٣ ابريل ٢٠١٦)
أخيرا أتغلب على كل شيء لأبدأ

النخبة (التى لا تستحق هذا الوصف) تشعل حريقا فيما بينها وفي ذات أصحابها، وتعلو صيحاتها المتسمه بالجنون حول الجزيرتين (تيران وصنافير) أحمد السيد النجار يكاد أن يطيح بنفسه بعيدا عن الموقع العتيد (رئيس مجلس إدارة الأهرام) غضبا لأن الجزيرتين لنا، ويتحول الأمر إلى هزل على يدى القرموطى (ON TV) إذ احضر كومتى رمل واحدة تيران والأخرى صنافير وغرس فى كل منهما علمين (مصر والسعودية) والأرض تحاول أن توحى بموج أرزق ثم يقول أى كلام، ليس بقادر على إقناع أحد بأى شيء، وإنما يستطيع استهلاك الوقت فى لغو يربك المشاهدين، وآخر يوجه سهاما قاسية للشعب كله (يوسف الحسيني) يتهم المصريين بأنهم أذناب تهتز طربا بالتصفيق للسيسى مهما فعل، ربما

بهدف استثارتهم لفعل العكس حتى يتبدو رجالا أمام أنفسهم. وعلى الضفة الأخرى وثائق تتراكم تحاول أن تؤكد سعودية الجزيرتين.. مصر تستنفذ كل جهدها فى تبديد طاقتها واستنزاف ما تبقى لدى نخبتها من فعل، وفى مناخ كهذا لابد أن استخلص نفسي، لأنجو بذاتي. والكتابة دوائي، فأنا أذكر ولم أزل يوم عاصفة سبتمبر التى اقتلع فيه السادات بعاصفته الجنونية مئات من النخبة (المفترضة) كتابا وشعراء وحزبيين ورجال دين ليودعهم السجن. وكان نصيب التجمع هو الأكبر فلم يتبق من القيادة سوى - الاستاذ خالد وأبو سيف يوسف ورمزى فهيم وأنا. هكذا أراد السادات كما روى عنه أحد المقربين منه "عايز اكسر عضمهم بس يفضلوا يتنفسوا علشان الحياة الحزبية يفضل فيها رمق. فترك خالد محيى الدين وتركنى معه وأبو سيف يوسف ورمزى فهيم الهادئان والرافضان لأى تشدد. وكان العشرات من الزملاء وأسر المقبوض عليهم يتجمعون فى غرفة الامانة العامة. الجميع يتكلمون فى وقت واحد والتحليلات والتوقعات تتراكم فوق بعضها، شعرت بحيرة اعقبها ما يشبه الدوار انتحيت فى غرفة جانبية ووجدت دوائى فى أن اكتب، وكنت قد اعددت كتابا عن "أحمد حسين" واعتزمت أن أصوغ مقدمته حول البرجوازى الصغير واسلوبه ودوره فى المجتمع، وبدأت فى الكتابة ودخل الاستاذ خالد وأنا اكتب وصاح "مفيش بيانات تنكتب دلوقت استنى أما نشوف الوضع يوصل لفين" فقلت أنا لا اكتب بيانات أن اكتب مقدمة كتاب، صاح فى وجهى "يا أخى

انت بتجيب برود الاعصاب ده منين" أنه مجرد نصف ساعة استعيد فيها نفسى وأنفاسى وأخرج من حالة التشويش وأعود.

والآن هادئا استدعى برود الاعصاب لابدأ فى الكتابة.

ومباشرة استثمر ما تبقى من وقت فى حياة اعتقد أنها تقترب من نهايتها وأبدأ فى الكتابة.

سنوات مبارك الاخيرة

أ - مبارك ورجاله

كان مبارك يعرف رجاله جيدا، واحدا واحدا ويعامل كلا منهم بما يرى أنه يستحقه وأعرف حكاية عن كمال الشاذلي إذ دعاه لحضور كتب كتاب ابنته دخل الرئيس والمأذون هو الشيخ حسن وكان مأذونا مرموقا فهو ايضا عضو بمجلس الشعب وفى زحمة الاهتمام بكتابة الكتاب صاح مبارك ضاحكا "شيخ حسن بذمتك كمال خد منك كام علشان تكتب كتاب بنته. ولم يملك اساطين النظام جميعا بما فيهم كمال الشاذلي إلا الضحك على نكتة الرئيس".

وفى واقعة أخرى عندما زار مبارك مجلس الشورى احتفالا بالتجديد المهيب الذى اعقب الحريق. وكان الاجتماع فى قاعة غاية فى الفخامة والسقف يموج برسوم مذهبه غاية فى الجمال، وحيث

يقف حارس وأمامه زجاجة ماء وكوب يكون مقعد الرئيس وتدافع الحضور وهم اعضاء الامانة العامة للمجلس للجلوس بالقرب من مقعد الرئيس فى الصف الأول على يمين مقعده، فالصف الأول على اليسار به اوراق مكتوب عليها الاسماء لترتيب الجالسين وأولهم المشير طنطاوى ثم صفوت الشريف وهكذا. وفى مقاعد خلفهم جلس جمال مبارك وزكريا عزمى وشخص اعتقد انه الطبيب الخاص. دخل مبارك وبإشارة خافتة منه اقترب رئيس الديوان انحنى ليستمع إلى همسة من مبارك وعاد. وبعدها بدقيقة خرج هو وجمال وانتظرا بالخارج. وتابعت هذه اللقطة فى دهشة. كانت الامانة العامة تحتل المقاعد بقدر ما استطاع المتزاحمون أن يتدافعوا. ولم أكن أنوى الكلام ولا التدافع وبعد أن جلس الجميع.. تركت مقعدين خاليين وجلست فى اشارة إلى أننى لم اتدافع ولا أريد الكلام. وبدأت الكلمات الاحتفالية المعتادة ثم الكلمات الممتلئة بنفاق معتاد ومفترض وربما مفروض، وفجأة نظر مبارك ربما تعبيرا عن ملل أو تنفيذا لفكرة خطرت فى باله، نظر نحوى قائلا انت قاعد بعيد ليه؟ ونظر إلى صفوت انتو عاملين seating يا صفوت؟ فرد لأ يا افندم. فعاد ليسألنى قاعد بعيد ليه؟ فقلت "كل واحد على قد مقاسه" فضحك وقال "قرب شوية" وانتقلت إلى كرسى وتركت الآخر فارغا موحيا اننى متعمد عدم التزاحم. وقال اتفضل انا عايز اسمعك، نظرت إلى سقف الغرفة المتألق وقلت السقف جميل جدا، والجمال إرادة ولكن الإرادة تحتاج إلى مال. ونحن نحتاج تعليم

جميل وصحة جميلة ومستوى معيشة أجمل ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بموارد كبيرة والحل هو الضرائب التصاعدية، ولمحت ابتسامة عميقة على وجه المشير فتشجعت ومضيت، لكن مبارك قاطعني "يقولون أنها ستمنع تدفق المستثمرين.. واجبت وهل يوجد بلد رأسمالي بلا ضرائب تصاعدية؟ حيروح فين؟ وضحك مبارك ونهض منهيا الاجتماع .. وهنا نفذ مبارك الفكرة التي ربما خطرت في باله والتي استدعاني للكلام من أجلها، وفيما يحيط به الجميع كالمعتاد نفاقا، أشار إلي ولدهشتي وضع ذراعه على كتفي وتباعد فتباعد الجميع عنا، وهمس مبارك في أذني "كده كلهم حيضربوا أخماس في أسداس وحيسألوك فلا تجاوب. وبالفعل ارتبك الجميع وبدأت نظرات متسائلة تغلف لفتات صفوت الشريف لكن أحدا لم يتجاسر أن يسألني المهم اقتربنا من الباب ووقف الجميع ليسلم عليهم الرئيس فمضى سريعا وأنا كالعادة الأخير في الصف فقال وهو مبتسم ابتسامة مختلفة "حاسب على نفسك لأن اللي ضد الضرائب التصاعدية حيقطعوك" ووجدت نفسي أقول "أنا ما بخفش يا سيادة الريس" ومضى ومعه جمال.

***

وبمناسبة جمال أذكر عدة وقائع، الأولى عندما كان الرئيس في زيارة سابقة وكان جمال معه فصافحني قائلا "عايز أشوفك" ومضي. والسبب كان حوارا في المجلس حول "المفاعل النووي" وقلت في كلمتي "المصريون لهم شفرتهم الخاصة وقاموسهم الخاص" وعندما

يتحدثون عن المفاعل يقصدون "الضبعة" لأنهم استقر فى مشاعرهم أن هذا مكان المفاعل ولا مكان غيره، والتفت لى وزير الكهرباء د.حسن يونس مبتسما فى ارتياح لم ادرك انه كان مكبوتا. وفيما نغادر الجلسة همس "برافو" ولم أفهم. واقترحت على فريد خميس فكرة أن تبنى الحكومة مفاعلا وأن يبنى الشعب من تبرعاته مفاعلا آخر واعلن فريد فى جلسة للجنة الشئون الاقتصادية عن فتح باب التبرع بعشرة ملايين وانهالت عدة ملايين أخري، وتحمست فكتبت فى الأهرام "فلنبنى لمصر مفاعلا آخر" وبعدها همس محمد كمال وكان عضوا معنا وايضا كان سكرتيرا لجمال، (وقد سبق أن طلبت منه أن يبلغ جمال انه لا يجوز أن يخاطب اجتماع اللجنة السياسية المذاع على الهواء وهو يضع يده فى جيب البنطلون. ونقل الرسالة وبالفعل لم يفعلها جمال مرة أخري)، المهم همس محمد كمال الاستاذ جمال (وهذه كانت التسمية السائدة فى أوساط المحيطين به) عايز يشوفك توقعت أن يكون الامر متعلقا بمشروع الضبعة، ومع مسار الجلسة انتقلت إلى حيث يجلس واحد من كبار الذين اعلنوا تبرعهم وسألته اخبار الضبعة ايه؟ ففزع وقال هامسا "شخطوا وقالوا ابعد عن الموضوع ده"، وعدت إلى مكانى وقلت لمحمد كمال ممكن نحدد الموعد بعد يومين ثلاثة.

واستكمل قصة الضبعة. فأحد كبار المستثمرين فى هذا المكان قابلنى ساعة جنازة المرحوم ابراهيم شكري، وكعادته فى مناداة اصدقائه قال "يا سيد الناس عايز احذرك من المطالبة بمفاعل فى

الضبعة لأن اتجاه الريح سينقل الاشعاعات فى حالة وقوع كارثة مثل تشرنوبل إلى الدلتا ليقتل ويصيب عشرات الملايين" ولم يكن مناخ الجنازة والزحام فى مسجد عمرو بن العاص ملائما لأى نقاش ولا حتى لما قاله المستشمر الكبير ولم أرد. ويبدو انه كرر هذه العبارة مع كثيرين حتى استدعاه مبارك ساعة الخروج من احد الاحتفالات وقال له بصوت عال.. "ابعد عن موضوع الضبعة".

وتناثرت معلومات عن خلاف حتى فى نطاق الاسرة حول "الضبعة" وتأجل الأمر كله رغم إلحاح وزير الكهرباء حسن يونس فالقوى الرافضه كانت الأقوى فهناك جمال وصهره وشركاء صهره..

ونبقى مع رسائل مبارك العلنية التى إعتاد أن يطلقها وكأنها هزار غير متعمد لكنها كانت مقصودة، واذكر يوم عقد قران جمال وقد وجهت الدعوة لعدد كبير فى نادى القوات الجوية ووقف الرئيس وحرمه وجمال وحرمه يتلقون التهانى وكالعادة تزاحم المتزاحمون المعتادون وكنت بعيدا بعض الشيء حتى يخف الزحام اتحدث مع محمود محيى الدين عن أحوال الاستاذ خالد، حتى أوشك الزحام أن يتلاشى فتقدمت للتهنئة لكن الرئيس باغتنى قائلا بصوت مرتفع عايزينك تكتب لنا كتاب ضد فاروق حسنى واللخبطه اللى عاملها. وأجبت وبسرعة "ياسيادة الرئيس بعد ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة سيردد المؤرخون القادمون أنه فى زمن حسنى مبارك تم انقاذ وترميم الآثار الإسلامية والقبطية وهذا يكفى فاروق حسنى ويزيد، وفوجئت بمبارك يخاطب شخصا يقف خلفى قائلا "إبسط يا عم"

والتفت لأجد خلفي فاروق حسني الذى ظل ممتنا لهذا الرد. لكن المثير للدهشة أن مبارك كرر طلبه هذا أكثر من مرة وكنت اكتفى بالابتسام. (وحاول بعض الذين يزعمون انهم عالمون ببواطن الامور أنها مناكفة عائلية بين الرئيس وحرمة، فقد اشيع أن الفنان فاروق حسني كان يرسم خطوط والوان الموضة لفساتينها).

وبما أن الرئيس كررها فقد حاولت أنا ايضا، ففيما كان الرئيس مرشحا وحيدا فى الاستفتاء الذى اجرى لآخر مرة، قرر حزب التجمع الامتناع عن التصويت مطالبا بانتخابات تعددية وليس مجرد الاستفتاء على مرشح واحد، وأذكر اننى تعرضت لإلحاح مرير من جانب عديد من المسئولين وخاصة د. مصطفى كمال حلمى رئيس الشورى وكمال الشاذلى وغيرهما وكانت الجملة الاثيرة لدى الجميع ضرورة ابراز وحدة الصف فى ظل الظروف الصعبة وفى كل مرة كنت اسأل محدثى هل طلب الرئيس منك ذلك وكانت الاجابة بالنفي.

وكان الاستاذ خالد قد تعرض لذات الضغوط فى مجلس الشعب وأجاب بذات السؤال. وعندما أعلن فوز الرئيس فى الاستفتاء ذلك الفوز المعتاد وبالنسبة المعتادة كانت وفود التهنئة تتدفق على قصر القبة. وسبقنا وفد أمانة مجلس الشعب وعندما اقتربت عبر الطابور من مصافحة الرئيس خطر فى بالى أن أوجه رسالة للسامعين وفيما الرئيس يصافحنى سألته بصوت عالى حضرتك زعلان من موقفنا فضحك وقال ابدا واكملت "لازم الجميع يعرفوا أن الصورة متعددة الألوان اجمل من الصورة ابيض واسود فالتفت إليهم وقال عبارة لا

أعرف أن كانت استحسانا أم لا .. فقال "سامعين" وهز الجميع رؤوسهم .. طاعة من غير رضاء.

* * *

وتكرر الأمر عندما كانت الانتخابات التعددية الاولي .. وقد بدأت ملامح القرار عندما همس الصديق شوقى يونس وكان دائم الجلوس خلفى وفيما الجلسة تناقش مسائل لا أهمية لها ، قال هامسا ستسمع اخبارا هامة جدا بعد يوم أو يومين. وجاء الخبر الهام بتعديل الدستور بحيث تجرى انتخابات الرئيس من بين أكثر من مرشح. وجرت محاولات للضغط علينا للترشح. وفى بادئ الأمر قرر الحزب أن يترشح الاستاذ خالد واعلن بالفعل ترشحه خلال ندوة صحفية اجريت معه فى مجلة المصور وتتالت عدة وقائع .. كنت اسجل على الهواء ندوة مع لميس الحديدى فى ماسبيرو .. ثم فاجأتنى فقالت سنخرج إلى فاصل وبعدها أسألك هل من الملائم أن يترشح الاستاذ خالد وهو فى هذه السن. وأثناء الفاصل قلت بصوت غاضب حذار أن تسألى هذا السؤال فإجابتى ستكون ان خالد محيى الدين ليس اكبر كثيرا من مرشحكم. فقالت يا نهارد اسود .. ولم تسأل السؤال ، لكن الحاضرين جميعا سمعوا .. وطبعا نقل البعض ما سمع.

والذى حدث أننا استشعرنا حقيقة التمثيلية التى تجرى فتقرر انسحاب الاستاذ خالد بحجة حالته الصحية.

وفى ذلك الحين كانت هناك ضغوط أخرى كى اترشح أنا وكان صاحب هذه الضغوط د. نعمان جمعة الذى كان الوفد قد رشحه

للرئاسة وكان يستشعر أنها محاولة من خصومه فى الحزب لإحراجه. وفى جلسة رباعية تكررت عدة مرات (صفوت الشريف- كمال الشاذلي- نعمان جمعة وأنا) طالب نعمان أن اترشح أنا وهو حتى لا يتحمل الاحراج وحده، ورفضت بحسم وكان تحت دعوة د. نعمان إلى برنامج "البيت بيتك" لعرض برنامجه الانتخابى استكمالا لديكور مسرحية الانتخابات وسأله مقدم البرنامج هل ترشح شخصا يساندك أمام جمهور المشاهدين فأختارنى واستكمالا للاخراج المسرحى استدعونى على التليفون وحاول مقدم البرنامج أن يضع بعض الحصى فى فمى قبل أن أؤيد انتخاب نعمان فسألنى ما رأيك فى البرنامج الذى اعلنه السيد الرئيس مبارك فى مدرسة المساعى المشكورة وفهمت الملعوب، فأجبت اجابة لم تكن تخطر على بالى ولا بال نعمان وطبعا لم تخطر على بال مقدم البرنامج قلت فى هدوء "أعتقد أن الرئيس مبارك خالف القانون بأن عقد مؤتمرا انتخابيا فى أحد دور العلم وهذا ممنوع قانونا ولو كنت مرشحا لسافرت فورا إلى المنصورة وعقدت مؤتمرا انتخابيا فى مدرسة الملك الكامل الثانوية. واحسست أن مقدم البرنامج وزميلته قد أوشكا أن يغمى عليهما من الخوف وخرجا إلى فاصل. بعدها قالت لى جاسمين الشريكة فى تقديم البرنامج انها وزميلها كانا فى حالة رعب حقيقي. وبعدها ايضا جرت محاولة اصلاح الديكور الانتخابى فإتجه الرئيس لعقد مؤتمرات فى حديقة الازهر. وعندما سافر إلى المنيا وتمت استضافته فى عشة على شاطئ النيل حيث

تناول الشاى من يد زوجة صاحب العشة الذى تبدى مرحبا بصورة مبالغ فيها . . ارسل زميلنا المرحوم د . وجيه شكرى امين الحزب فى المنيا أن صاحب العشة المزعوم مخبر فى مباحث المنيا ونشرنا الخبر فى الاهالى بما اغضب الكثيرين (وهو ما تكرر نقلا عن جريدة الاهالى فى فيلم طباخ الرئيس) واستمرت التداعيات فقد تحولت اجتماعات رؤساء الاحزاب التى سبقت الانتخابات إلى كوميديا سوداء .

الجلسات تعقد لكى يرتل رؤساء الاحزاب الولاء والمديح للرئيس المرشح والتهكم على منافسيه وكان من بين منافسيه احمد الصباحى (رئيس حزب الامة) الذى اعلن انه يترشح استكمالا لولائه للرئيس وانه سوف يعطى صوته للرئيس (وبالمناسبة هو كمرشح حصل على نصف مليون جنيه دعم من الدولة خصص مثله لكل المرشحين . ولما طلب منه تقديم حساب عن نفقاته رفض مؤكدا انه مش فاكر) . المهم اتفقنا نعمان جمعة وضياء داود وانا على الانسحاب من هذه الاجتماعات التى توقفت بعدها ، ومنح كل رئيس حزب من غير المنسحبين خمسون الف جنيه كسلفة تستقطع من الدعم الذى يقدم للحزب على اقساط . . ولم تستقطع . وقد نبه عليهم عدم إعلان ذلك . لكن المستشار فرج الدرى ابلغنى بذلك سرا ، وشجعنى على أن أطلب مثلما كان للاخرين ، ورفض صفوت الشريف معربا عن غضبه ، وربما متصورا انه يلقننى درسا فى ضرورة الطاعة ، ولكنى لم اتعلم الطاعة وظللت كما أنا .

ب - حلقة النار

وقد نجح زكريا عزمى فى أن ينسج شبكة غير مرئية تحكم حصارها على مبارك بحيث يمتنع على أحد الاتصال بالرئيس إلا عن طريقه وحده. وكان يسميها متباهيا حلقة النار.

وأذكر أن صديقا هو د. طه عبد العليم تم اختياره رئيسا للهيئة العامة للاستعلامات وهو منصب هام، وفى إحدى سفريات الرئيس اصطحبوه على الطائرة الرئاسية واستدعاه الرئيس خلال الرحلة ليتعرف عليه، وبعد حديث قصير كان على د. طه أن يترك المقصورة الرئاسية فتجاسر وقال للرئيس "أنا من موقعى يا سيادة الرئيس احتاج إلى الاتصال بسيادتكم لاتلقى توجيهاتكم" ورد مبارك "ان شاء الله". لكن زكريا عزمى إنتحى به وزجره بشده "أنت كده تخترق حلقة النار" ولم يدرك د. طه عمق الكارثة، وعندما تحدث معى عقب عودته تليفونيا وروى ما حدث قلت له احذر فقد يطاح بك. وبالفعل ربما بسبب ما طلبه من الرئيس أو بسبب أنه حكى لى ما لا يجب أن يحكى .. أطيح به.

ج - مبارك والبابا شنودة

وذات يوم استدعانى قداسة البابا شنودة غاضبا وساخطا بعد حكم محكمة الجنايات ببراءة المتهمين فى قضية قرية الكشح وقال : بلغ الرئيس أن دم الاقباط مش ماء. وكان الأمن قد رتب المحاضر لتقود لهذا الحكم خاصة وأن المعتدى عليهم كانوا يوجهون اتهامهم الاساسى لشخص واحد وكان من الصعب

تصور تواجده فى أكثر من مكان فى وقت واحد.. والقاضى يحكم بما أمامه من أوراق. واتصلت بجمال عبد العزيز السكرتير الخاص للرئيس بعد اتصال بتليفون د. زكريا الخاص ولم يرد. وأجاب جمال عبد العزيز الرئيس عنده ضيف "سأتصل بك فور انتهاء المقابلة"، ولم يتصل. ولم أكرر المحاولة. واعتقد - مجرد اعتقاد- أن سكرتير الرئيس كان متمما لحلقة النار وأبلغ د. زكريا الذى طلب منه إلا يبلغ الرئيس منتظرا أن أتعلم إلا اخترق حلقة النار، وعاند وعاندت فلم أكرر المحاولة لا من جمال ولا من زكريا رغم أننى كنت ابلغت السكرتير أن الأمر هام جدا وعاجل جدا. وبعد يومين اتصل د. زكريا "انت زعلان مننا" وقلت لأ مش زعلان. وقال أن جمال نسى يبلغ الرئيس وسألنى ماذا كنت تريد؟ وقال بتودد أنا تحت أمرك. فقلت له ما قاله البابا وقلت اقترح أن يكلمه الرئيس. وبعدها بدقائق كان الرئيس على التليفون وقال أن القاضى امامه اوراق متوضبة لصالح المتهمين وبلغ البابا أن النيابة ستطعن فى الحكم أمام محكمة النقض. وصمت البابا عن غيظ شديد.

والحقيقة أن العلاقة بين مبارك والبابا كانت معقدة جدا لأن موضوع الكنائس كان معقدا. واذكر أن د. زكريا طلب أن أزوره فى قصر عابدين وهناك أطلعنى على رسالة من وزير الاوقاف آنذاك د. حمدى زقزوق يشير فيها إلى زيارة قام بها للنمسا حيث وجد حالة من الاحتقان عند الاقباط المصريين بسبب موضوع نشر فى نشرة

الكرازة المرقسية ويشار فيه إلى غضب قبطى بسبب عديد من الاوضاع.. وقال: الرئيس يطلب منك أن تزور البابا ويستحسن أن تقابله منفردا لتسأله عن طلباته، والرئيس مستعد لتلبية ما هو معقول. واتصلت ورتبت موعدا بالدير.. حيث يكون البابا منفردا. وكان د. زكريا قد لحقنى وأنا على السلم ليقول "متقولوش انك تحمل رسالة من الرئيس، وهاتها من عندك انت"، وما أن انفردنا حتى قلت لقداسة البابا اشعر انك لست على ما يرام مع الرئيس، فابتسم ثم صاح بعد فترة تأمل لعله تأمل الدافع وراء زيارتى وخلف سؤالي، وبدأ الشكوى بالحديث عن سابق طلبه لكنيستين فى الوادى الجديد، اذكر أن احداهما فى بلده موط. وقال الناس كلها تعرف أن القبطى لازم يخطب خطيبته فى الكنيسة ويتجوزها فى الكنيسة ولما يموت لازم يتصلى عليه فى الكنيسة، وموط فيها اقباط كثير، واللى يموت يحطوه فى الصندوق على حمار ويسافروا بيه مشوار طويل جدا، لأن مفيش طرق ولا عربيات تقدر تمشى فى الصحراء. وقالوا الرئيس وافق من سنتين ولسه. ثم سألته هل مثلا تجدون أن من الملائم أن يكون هناك محافظ قبطي؟ فسأل ايه المانع يعني؟ وتضاحكنا وودعته وفيما اغادر نادانى قائلا: زى ما قالوالك ما تقلش أن احنا اللى باعتينك، أنا بقولك متقلهمش أن انا اللى طلبت. وضحكنا معا.

وبعدها اتصلت بزكريا عزمى فرفض الحديث فى التليفون وقال تعالى فورا. وفى مكتبه قلب اوراقا ثم استخرج المذكرة المعروضة

على الرئيس بشأن كنيستى الوادى الجديد وعليها توقيع مبارك تحت عبارة "لا مانع" والتاريخ قبل سنتين، وقال روح فورا لحبيب العادلى وشوف معاه الموضوع لماذا تأخر. وكان العادلى منتظرا وقرأ التأشيرة وطلب مدير أمن الوادى الجديد وكان الرد البارد "مقدموش عقد يفيد تملكهم للارض". وفيما يرد عليه العادلى صرخت أنا الكنيسة تمتلك الارض من خمسمائة سنة ولم يكن هناك عقود تمليك وحتى الآن لا يوجد فى هذه المناطق شهر عقارى ولا عقود تمليك وشخط العادلى "الموضوع يخلص فورا" و"خلص الموضوع فورا".

اما عن موضوع المحافظ فقد سألنى د. زكريا هل هو عنده مرشح؟ وسألت والاجابة كانت اسأل د. ثروت باسيلى (وكيل المجلس الملي) وفى اليوم التالى جاءنى C.V. للمرشح.. اذكر انه كان طبيبا فى مستشفى منشية البكري" لكننى متأكد أن اسمه "اكلمنديس" وطبعا كان رد زكريا متعلقا بالاسم لكننى كنت واثقا ان اختيار المحافظ أى محافظ لا يمكن أن يكون لأحد غير الرئيس، وعين الرئيس محافظا مسيحيا آخر.

والحقيقة أن موضوع الاقباط كان يشغل بال مبارك وان كان يتعامل معه بحرص شديد يوحى بتردد يخاف من تداعيات لا يجوز الخوف منها، وكنا فى اللجنة المصرية للوحدة الوطنية وخاصة منير عبد النور وأنا نبذل جهدا فى الإلحاح على حل مشكلات تتناثر هنا وهناك وخاصة فى مجال التعليم. وذات يوم كنت عند قداسة البابا

وكعادته فى كثير من الاحيان كان يتهكم ضاحكا وشاكيا فى نفس الوقت، وحكى قصة طالب طب كان يخشى من امتحان الشفوى لأن الاستاذ متعصب ضد الاقباط فإحتاط وسأله الاستاذ اسمك؟ مجدي. مجدى ايه؟ ابراهيم، ابراهيم ايه؟ كمال. كمال ايه؟ وما من مفر فقال بطاريس، فشخط الاستاذ قوم ده بطرس واحد بيسقط. وعاد الفتى باكيا.

وذات يوم اتصل الرئيس مبارك وسأل كالمعتاد البابا صاحبك زعلان والتقارير بتقول انه يشكو بمرارة، فحكيت له حكاية "بطاريس" وزدت عليها أن هذا الاستاذ يتعمد أن يمتحن الطلاب يوم ٧ يناير ليغيظ الاقباط فضحك أولا على اسم "بطاريس" ثم قال كلم الدكتور حسين (وزير التعليم والتعليم العالى حسين كامل بهاء الدين) يشوف حل وبلاش امتحانات يوم ٧ يناير. فرد الدكتور حسين "الاستاذ الممتحن كان استاذى ومن الصعب على مجادلته فى هذا الامر والحل أن يصدر الرئيس قرارا بذلك، وأردف وعلى أن حال عندما كنا طلبه كانوا يمتحوننا فى عيد الفطر أو عيد الاضحى كنوع من التأكيد على أهمية دراسة الطب".

ونقلت الاجابة إلى د. زكريا وجاء الرد بعد اقل من ساعة "خلاص يا سيدى الرئيس قرر اعتبار ٧ يناير اجازة رسمية ويمكن كمان عيد القيامة" واسرعت ونقلت الخبر إلى البابا شنودة الذى ابدى ابتهاجا غير معتاد لكنه لدهشتى رفض اجازة عيد القيامة لأن

ذلك سيثير قطاعات كبيرة من المسلمين الذين سيتذكرون ساعتها " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم" ودهشت ليس فقط لأن البابا يتذكر نصا قرآنيا وإنما لحرصه البالغ والسريع جدا بالنسبة لاجازة عيد القيامة.

وابلغت د. زكريا الذى قال "كده يلقن البابا الجميع درسا فى الوطنية، وبعدها عندما زرت قداسة البابا همس فى اذنى وأنا اغادر ستذكر الكنيسة فى تاريخها أنك صاحب "٧ يناير اجازة رسمية".

ولم أزل فى غمار ذكريات لا تنتهى حول العلاقة الشائكة والغامضة بين مبارك والبابا، وذات يوم وانا فى مجلس الشورى اتصل بى شخص من طرف انبا مرقص (اسقف شبرا الخيمة) ليبلغنى ان رئيس الحى إصطحب الامن وعشرات العمال ويهدمون الآن مبنى خدمات كنيسة شبرا الخيمة، واتصلت بمحافظ القليوبية المستشار عدلى حسين وهو صديق عزيز فقال بيقولوا مش كنيسة ومبنى بدون ترخيص وسريعا حضر د. ثروت باسيلى فقد اخرجه تليفون من الجلسة ليقدم ذات البلاغ. (وكان البابا خلال زيارة لنا نحن الاثنين له فى الدير وعندما قلت له ارجوك يا قداسة البابا لا تشغل بالك بالتفاصيل الصغيرة وفوض شخصا تثق به فى أن يتولاها.. فأشار إلينا انتو الاثنين مع بعض).

واتصلت بالدكتور زكريا فإذا به يقول :كنيسة شبرا الخيمة؟

عندى خبر، بس دى مش كنيسة، ده بيت خدمة بنى دون اذن ودون ترخيص" فدخلت فى حوار حول حساسية الموضوع خاصة أن انبا مرقص صعد الموضوع وهو مصمم أن الهدم طال جزءا من الكنيسة.. وبعدها بساعة تلقيت مكالمة منه "الرئيس امر بإعادة الشيء لأصله وباعادة المبنى إلى كما كان وتتحمل المحافظة التكلفة، وطلب أن اذهب غدا لمقابلة المحافظ وحل الموضوع. وكان انبا مرقص قد تلقى ذات الاجابة عبر طريق آخر وذهبنا إليه د. ثروت وانا فى طريقنا إلى بنها فوجدنا أمامه رسما معماريا أعد على عجل يعيد بناء مدخل الكنيسة برخام يغطى السلالم ويتصاعد ليغلف كل الواجهة ثم يصعد ببرج الكنيسة إلى أعلي.. واما مبنى الخدمة فهو مفتوح على قاعة الكنيسة الرئيسية. فنظرت إلى د. ثروت وتفاهمنا وقال ثروت أن هذا ليس اعادة الشيء إلى اصله وانما اعادة بنائه بفخامة مبالغ فيها. وفى بنها قال المستشار المحافظ نفس الشيء.. وفيما نشرب القهوة اتصلت همسا بقداسة البابا الذى ثار ثورة عنيفة وقال ولا طوبة واحدة زيادة كفاية أن الرئيس انصفنا، ومش عايزين رخام ولا فخامة.. وذهبنا مع المحافظ إلى موقع الكنيسة ومعنا انبا مرقص وهالنى منظر الشارع الضيق جدا والذى تصاعدت كل مبانيه كأبراج يصل بعضها إلى ١٢ دور بحيث يخيل إليك أن الابراج المتقابلة توشك أن تتلامس فى أدوارها العليا لتغلق بوابات الضوء والشمس وحتى الهواء.. وسألت المحافظ كل ده

مخالف؟ فقال مندهشا : واضح. وسألت اشمعنى رئيس الحى اختار مبنى الخدمات فقط؟ فقال سأنقله فورا. وصمم انبا مرقص على موقفه، ورفضنا جميعا واخيرا استخدم المحافظ سلاحا ظل سريا فقال " : الكنيسة ومبنى الخدمات مبنيتان على ارض زراعية ولا استطيع فعل شيء إلا بموافقة وزير الزراعة، وبعد اتصال بالدكتور زكريا ثم اتصال من الكنيسة بانبا مرقص هدأت المناقشات وأعيد الشيء إلى أصله.

لكننى لا استطيع أن اتباعد عن عطر الكتابة المصطحبة لاسم قداسة البابا شنودة دون أن استمتع بذكر رسالتين خطيتين تلقيتهما من قداسته.. وذات يوم فى جلسة مسترخيه فى الدير قال لى لا اذكر أننى كتبت رسائل شخصية بخطى إلا لك انت .. وشعرت باعتزاز . ولم ازل.. الاولى كانت بمناسبة انتخابى رئيسا لحزب التجمع. والثانية ارسلت من امريكا بالفاكس بمناسبة العيد الثلاثين لصدور جريدة الاهالى وتوقفت طويلا أمام مديح لا استحقه من شخص مثل قداسته ولا اخفى اننى كلما امسكت بالرسالتين فى اطارهما الفضى لم ازل وحتى الان اشعر بعطر انفاس قداسته واستأذن فى أن امنح كل ما كتبت وما سأكتب بركة قداسته بنصهما.

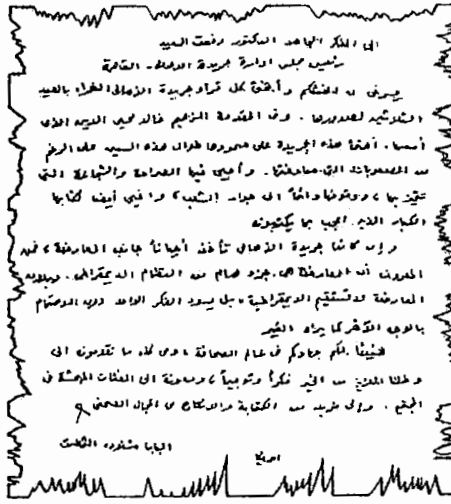

الى المفكر المجاهد الاستاذ رفعت السعيد
رئيس مجلس ادارة جريدة الاهالي - القاهرة

يسرني ان اهنئكم وأهنئ كل قراء جريدة الاهالي الغراء بالعيد
المشرشيد لصدورها . وقد اهتدت العزيم خالد محيي الدين الذي
أسسها . أهنئها هذه الجريدة على صمودها طوال هذه السنين على الرغم
من الصعوبات التي صادفتها . وأحيي فيها الصراحة والشجاعة التي
تتميز بها ، وتوخوها دائماً في عرض الشئون ، وفي أيضاً كتابها
الكبار الذين يجب بما يكتبونه

وإني كما أشار جريدة الأهالي تأخذ أحياناً جانب المعارضة ، فمن
الضروري أن المعارضة هي جزء هام من النظام الديمقراطي . ويجب على
المعارضة تدعيم الديمقراطية ، بل يسود الفكر الواحد الذي يؤدي الوطن
بالوجه القاهر كما يراه الغير

فتحياً لكم جاءكم في عامها الصحافة ، وهي لذا ما تقدمون الى
وطننا العزيز من افكار نيرة وتوجيهاً ، وصولة الى الغايات المرجوة في
الجتمع . وإلى مزيد من الكفاح في المجال الصحفي

البابا شنوده الثالث

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM HIS HOLINESS POPE SHENOUDA III
Ibn Aisha Palace, Ramses Avenue, ABBASSIA
CAIRO, EGYPT
CABLE & TELEX ADDRESS & AREA

البابا شنوده الثالث
بطريركية الاقباط الارثوذكس

صديقنا العزيز الاستاذ رفعت السعيد

سلام ومحبة ، وبعد :

يسرني ان أهنئكم برئاسة حزب التجمع الوطني
هذه الرئاسة التي وصلت اليها بالثقة الكاملة فيكم
من أعضاء الحزب ، وبالتزكية في الانتخاب
ربما هذه المناسبة ، أحب ان اصل تحياتي وتقديري
الى الاستاذ الكبير خالد محيي الدين زعيم حزب التجمع
ومؤسسه ، والذي يحظى بثقة كبيرة وتقدير عظيم من الرئاسة
في الحزب . ليكلله الرب معكم جميعاً

البابا شنوده الثالث

وربما لو اطلت التأمل لكتبت مئات الصفحات لكننى سأكتفى بعبارة واحدة لم تزل محفورة فى اعماقي. كنت فى زيارته إلى الكاتدرائية وكالعادة التف حولنا عدد من الآباء اتى احدهم غاضبا من ابراشيته فى الصعيد وظل يشكو تصرفات غاية فى الرداءة ضد شعبه وكنائسه هناك والبابا صامت لكن المطران الغاضب قال: انت يا سيدنا تأمرنا بالهدوء وكلما سكتنا زادوا هم من تطاولهم فإنصفنا نحن ابناؤك وامنحنا الاذن بالاحتجاج وظل البابا صامتا وصمت الجميع، وبعد فترة قال البابا "ليس فقط لأن الرب يأمرنا "احبوا مبغضيكم وباركوا لاعنيكم" وإنما لأن سلامتكم وحقوقكم فى عنقى ومعها وفوقها سلامة وأمن مصر كلها، وأنا اخشى وأحاذر من أن تغرق مصر فى دماء طائفية حتى لو احتملنا نحن".

وفى المراحل الاخيرة من مرضه الاخير همس أحدهم فى أذنى البابا مريض جدا، ويتألم جدا آلاما فوق اية قدرة على الاحتمال لكنه يخفى آلامه.. فاتصلت به فى كليفلاند حيث يعالج ورد على "انبا..." فقال "قداسة البابا بخير ولكنه يستريح بعض الوقت، وانا سأبلغه باتصالك وسمعت صوت قداسته يسأل بحدة مين بيتكلم؟ ولما عرف صاح هات التليفون، وكلمنى ضاحكا أو متظاهرا بالضحك أنا كويس وأول ما أرجع سأتصل بك..

وبالفعل عاد البابا ليتصل بى وقال بهدوء عاوز أشوفك.. ولست ادرى لماذا خيم على احساس حزين يوحى بأنه اللقاء الاخير. وانتظرت دقائق تبدت طويلة جدا وانا جالس فى مكتبه.. وتذكرت

أن منير عبد النور (عضو المجلس الملى وصديقى العزيز قال لى أنه فى أحد اجتماعات المجلس كان قداسته متجهما جدا فهمس احدهم فى اذن جاره حد يجيب سيرة رفعت السعيد وقداسته سيضحك. وسأل قداسته بتقولوا ايه لبعض؟ واجاب احدهما بما سمع فضحك البابا فعلا، قائلا هو صديق عزيز فعلا). وفيما اتمنى أن أراه ضاحكا اتى قداسته متماسكا ومبتسما موحيا للجميع انه فى أتم صحة وكما اعتدت دائما احتضنت قداسته ويبدو أننى اطلت فتخلص برفق وبدأ حديثا ضاحكا وخوفا عليه من التعب استأذنت سريعا، وخيم على احساس انه عندما وقف ليودعنى انه الدواع الاخير.. وسكب فى اذنى انفاسه العطره وهو يقول خلى بالك من نفسك ومن صحتك.. وربنا هيحميك وأنا حا أدعيلك باستمرار. وصحبنى إلى الخارج حتى جاءت السيارة، فى كل مرة كان يفعلها وفى كل مرة كنت ألمسه برفق قائلا اتفضل ادخل يا سيدنا لكنه يصمم أن يبقى حتى تأتى السيارة. هذه المرة لم افعل وتمنيت ألا تأتى السيارة لأبقى معه لحظات أخري.. واحسست أنه ايضا لا يلتفت إلى السيارة إذ وصلت وظل واقفا معي.. واحسست انها نهاية اللقاء الاخير معه. وبالفعل كان رحيله بعد يومين.

وتبقى ملاحظة أخيرة فى مسألة علاقة مبارك بالمسألة القبطية.. كانت دماء الكشح لم تجف بعد، وكان ثمة تجديد نصفى فى مجلس الشورى وثمة تعيينات لاعضاء جدد، اتصلت بدكتور زكريا وقلت له ما رأيك فى أن يجرى تعيين مسيحى من الكشح فى "الشوري"،

بعدها بساعات اتصل وسألني.. صاحبك عنده اقتراح باسم معين؟ وسألته صاحبى مين؟ واجاب البابا، قلت له البابا لم يفاتحنى فى الامر ولا انا فاتحته.

وبعدها صدرت قرارات التعيين وفيها رجل اعمال مسيحى من قرية الكشح، لكن المثير للدهشة أن القرار وضع فى النص الرسمى إلى جوار الاسم وبين قوسين عبارة من قرية الكشح، وتصورت أن خطأ اداريا ترك هذه الاشارة مكانها، ولكن وفيما اتندر بذلك فى حوار مع البابا اسند قداسته يديه على العصا وقال فى هدوء وكأنه يوجه الحديث لشخص غير موجود "ربما اراد أن يسجل فى وثيقة رسمية ما قد يقرأه البعض بعد سنوات عديدة ليسجل انه كان متعاطفا مع ضحايا الكشح وبالفعل راجعت مرسوم التعيينات فى "الجريدة الرسمية" فوجدت ذات العبارة، وربما كان البابا على صواب.

حكاية الرجل الغامض

هذه الحكاية احتفظت بها ولم أشر إليها من قبل. لأنها واقعة ليست فقط مثيرة للدهشة، وإنما هى شديدة الغرابة فى ترتيباتها، فتناسيتها حتى نسيتها.

والبداية فى نادى الجزيرة، وانا رغم عضويتى القديمة جدا فى النادى إلا أننى لا استمتع به إلا نادرا، وبعد أن هبط فوق صدرى كابوس الحراسة الامنية، وإذ اصبح الذهاب للحلاق مثلا مشكلة فكيف اصطحب معى حارسا مسلحا إلى صالون الحلاق دون ان استثير فضول الناس، وانا الذى تعودت بحكم الاعتياد القديم ايام العمل السرى على الانفلات دون أن يلتفت إلى احد وكان الحل أن احلق عند "صبحي" حلاق النادى.

وذات يوم خرجت من الصالون ووضعت حقيبة اوراق بها بعض تقارير المجلس الشورى على احد الترابيزات ومشيت عدة دورات

حول الملعب وعدت لأجد شخصا انيقا اربعينى العمر جالسا بالقرب من اشيائي. ابتسم وابتسمت، وبسبب ظهورى لعدة مرات فى التليفزيون اعتدت أن يتعرف على البعض ويقتحموننى باسئلة عن "اخبار الدنيا ايه؟" ورأيى فى الموضوع الفلانى واعتدت الاجابة باقتضاب شديد. لكن هذا المبتسم سأل بعد التحية سؤالا غريبا جدا، "حضرتك مش شايف أنها مسألة غريبة ان مذكراتك توزع اكثر من توزيع مذكرات د. بطرس غالي؟"

سألت نفسى هل هذا استفسار أم جر شكل؟ واجبت ببرود لم يدهش المبتسم "والله أنا معرفش مذكراتى وزعت كام ولا اعرف مذكرات د. بطرس وزعت كام، لكن أنا متأكد أن د. بطرس اهم منى الف مرة. فأجاب اجابة اثارت مزيدا دهشتي..وقال "على اى حال انتوا اصحاب من ايام مجلة الطليعة فمجلة "السياسية الدولية" كانت معاكم فى الدور السادس فى الاهرام ايام ما كان د. بطرس رئيسا لتحريرها وتحولت الدهشة إلى فضول، لكننى آثرت الانسحاب حتى لا تفتح ابواب حديث أضيع معها وقتا بلا فائدة مع شخص لا اعرفه.

وتمضى أسابيع وحلقت فى النادى وفيما افلت من بين يدى "صبحي" الحلاق وجدت ذات الشخص واقفا والابتسامة الودودة تفتح أبواب حديث لم اكن اريد أن يفتح لكنه كان يمتلك من القدرة على التودد بشياكه، وتبادلنا التحية وسار إلى جوارى وبلباقة دعانى إلى كابتشينو فى الصالون فالجو حار والصالون مكيف. وفيما

ارتشف الكابتشينو قذف برفق معلومة غريبة "تصور يا دكتور أن احمد نظيف مرشحينه رئيس وزراء" وادهشتنى هذه القذيفة ووجدتنى اجيب "مش معقول" فقال انا كمان رأيى كده، لكن هو فعلا مترشح رئيس وزراء وكررت مؤكدا "مش معقول".

واستأذنت منصرفا عن هذا الشخص الذى اعتقدت انه "لاسع". حلقت عدة مرات ولم يظهر المبتسم ونسيته تماما حتى فوجئت بعدها بحوالى ثلاثة اشهر بأحمد نظيف رئيسا للوزراء تذكرت الرجل، تحسست شعرى كان قصيرا ولست بحاجة للحلاقة، ومع ذلك ذهبت فى ذات اليوم إلى النادى ولم أدهش إذ وجدته، لكن الابتسامة تغيرت، ونبرة صوته ايضا. قال باعتداد "علشان تبقى تصدقنى. وابتلعت تعاليه صامتا. وجلسنا فى الصالون شربنا كابتشينو تحدثنا فى امور سياسية شتي، هو واسع الاطلاع، دقيق العبارات، يعرف كثيرا من تفاصيل تصعب ملاحظتها، ولا أخفى أننى بدأت استمتع بالحوار معه، ورغم أن المعلومات التى تبدو انها تأتى عفوا يصعب أن اتصور أنها كذلك، وانه كان يريد أو هو مكلف بأن يستطلع رأيى لجهة ما فى قضايا محددة، ولأننى لا أعرف من هو؟ ولا مع من يعمل؟ فقد كانت كلماتى دقيقة جدا ومحسوبة جدا وفى احيان ما حاسمة جدا.

عدة مرات التقينا، كيف يعرف مواعيد حلاقتي؟ لم أعرف. هل هو صبحى الذى تتصل به سكرتيرتى لتسأله هل عنده زحمة أم لا.. أم كان الأمر مرتبا بطريقة أخري. ثم أكاد اكتشف أن كل ما

فات كان اعدادا لحوار آخر، فى إحدى الجلسات سألنى بشكل مباشر كيف ترى مستقبل موقع الرئاسة؟ قلت أما أن يجدد مبارك لنفسه، وأن يأتى بجمال. فسأل بجفاف ألا ترى سيناريو آخر؟ وانتظر اجابتى التى جاءت "ربما" وفقط. فأكد هو جازما هناك سيناريو ثالث، وسيأتى بشكل أو بآخر. فماذا سيكون رأيكم؟ ولاحظت أن "رأيك" تحولت إلى "رأيكم" وقلت يتوقف الامر على كيف؟ ومن؟ ولماذا؟ فسأل افهم كيف؟ ومن؟ ولكن لم أفهم "لماذا؟" فقلت لأن التوريث قد يرفض من جهة ما لسبب ما ومن جهة أخرى لسبب آخر تماما. فقال أنا متفق معك، فكروا فى الأمر فهو آت لسبب أول لآخر.

وبعدها اختفى الرجل ذو الابتسامة الودودة.. ثم عدة اشهر وكان ٢٥ يناير.

وعندما دعيت إلى مقابلة مع بعض اعضاء المجلس العسكرى فى اعقاب تنحى مبارك وسفره إلى شرم الشيخ تخيلت ابتسامة هذا الرجل الغامض وسألت نفسى هل سأجده هناك، ولم أجده، ولم أره حتى الآن. ولم أعرف من أين أتي؟ ولا إلى أين ذهب؟

جمال.. اللقاء الأول والأخير

كان الجو مشحونا بالحديث عن "التوريث" والكثيرون يزهون بالتأييد ويتفانون فى التقرب من القادم. ووصل البعض إلى حد استخدام الاساطير ذات الصبغة الدينية لتعزيز وراثته. واذكر ان احد القيادات المسيحية من كبار الأراخنة وكان يتفانى فى بناء الكنائس والإنفاق عليها وتقارب حتى اصبح عضوا فى المكتب السياسى للحزب الوطنى حاول أن يفسر لى سر حماسه المشتعل لتوريث جمال فقال ان نبوءة وردت فى التوراه تقول انه إذا توالى حرف (م) فى اسم حاكم مصر ثلاث مرات سيكون هناك دمار وكوارث وواصل فى التفسير محمد انور السادات ثم محمد حسنى مبارك فلابد من اسم يبدأ بحرف آخر غير حرف (م) لانقاذ مصر من هذه النبوءة (نلاحظ أن محمد مرسى بعد محمد حسنى

فكان دمار وكارثة) المهم تكرر الحديث عن لقاء مع جمال ولا أنا تحمست من جانبى ولا تحدد موعد من جانبهم حتى كان يوم التقيت فيه بصديق للرئيس وقريب مقرب من السيدة سوزان ويحيط به الحالمون بصحبته ولو لدقائق لينعموا برائحة السلطة الممتعة، وانتحيت به جانبا وسألته صحيح صاحبك عايز يورثنا لابنه. هاج الصديق وأكد نافيا وقال عبارات لم ازل اذكرها هو نفسه أكد لى انه رافض وقال لى قول لقريبتك أن دى مش عزبة ابويا علشان اورثها لابني. ثم اضاف صديقى قائلا "والغريب انه قال بعدها انا خايف على الولد لأنه كده قد يستهدف من جانب من لا يريدونه. وبعدها سألنى صحفى اجنبى فيما اذكر انه ديفيد هرست "هل هناك توريث؟" فأجبت بلهجة الواثق "اعتقد أن مبارك لا يريد ذلك ولن يفعلها" ولكن بعد ايام وكان هناك احتفال، ودعيت إليه وفيما نحن نخرج صاح بى مبارك صوت عال :ازيك يا رفعت يا زئبقي" واقتربت من الرئيس لاستوضحه ويبدو اننى تجاوزت فوضعت يدى على كتف الرئيس فانطلق حبيب العادلى ليزيح يدى من على كتف الرئيس باعتبار أن هذا تباسط غير مسموح به، وابتسم مبارك قائلا للعادلى ابعد عنه، مهما حاولت مش هتفهمه ده زئبقى " ولم افهم ماذا يقصد، وبعدها التقيت بالصديق الذى ما أن رآنى حتى اسرع هامسا، علشان ما اطلعش كداب فى نظرك دلوقت الراجل غير موقفه ووافق على التوريث، وربنا يستر.. وفهمت معنى "الزئبقي".

وأعود إلى "الاستاذ جمال عايز يشوفك" فحددت موعدا لاستطلع ملامح الرئيس القادم، وما أن اقتربت من مدخل ملحق مبنى الحزب الوطنى حيث يوجد مكتب "الاستاذ جمال" حتى كانت الاستعدادات توحى بالاهتمام تبادل الهمسات عبر الاجهزة، الاسانسير منتظر رغم وقوف البعض منتظرين الاسانسير الآخر، هو دور واحد ولا يستحق الاسانسير لكن احد الواقفين فى الانتظار همس"الاستاذ جمال منتظر فوق على باب الاسانسير" ووجدته مرحبا بشدة واصطحبنى إلى مكتبه، وكنت قد اعددت له مفاجأة، فقد حاولت أن احذر القادم الجديد للرئاسة من جيوش النفاق فأعددت ورقة بها بيتى شعر كتبتهما بخط واضح.. وتذكرت وأنا اكتبهما أننى وأثناء المقابلة الأولى مع مبارك بعد توليه الرئاسة بأيام حيث استدعانا خالد محيى الدين- يحيى الجمل - وانا وفى الجلسة تطاولت (هكذا وصف الاستاذ خالد تصرفي) فقلت سيادة الرئيس خللى بالك من جيوش المنافقين، فاجابنى بضحكة قائلا "متخافش عليا أنا فاهمهم كويس، ولكنه بعد فترة اصبح يستمتع به بالنفاق، صحيح انه كان يوحى بأنه لا يحترم المنافق لكنه فى الواقع كان يستمتع وبلذة النفاق، المهم بدأ جمال حديثه بأن نقل تحيات الرئيس وقال الريس قال لى كلام كتير على حضرتك وأنا سعيد ان استمع ليك، فأخرجت من جيبى الورقة وقرأت له:

من الاحباب مختص بوجد / وآخر يدعى معه اشتراكا

اذا اشتبكت دموع مع خدود / تبين من بكى ممن تباكي

أنصت وشرحت له المقصود واعطيته الورقة وقلت له احتفظ بها وطالعها كلما احاط بك المنافقون. وبدأنا الحوار هو كان يسأل في اغلب الاحوال، لكن الاسئلة كانت ذكية وكان الادب الشديد يغلف الكلمات وبعد فترة دخل شخص من السكرتارية وناوله ورقة قرأها وانتظر حتى انهيت كلامي ثم قال فيه خبر أن زوجة د. نظيف توفت والجنازة في مسجد آل رشدان بعد صلاة الظهر. ونظر في ساعته وفهمت وقلت نقوم علشان نلحق الجنازة.

وربما أتى الأمر مصادفة أو استعجالا أو مرتبا صمم الاستاذ جمال وسط دهشة الواقفين في الطرقات وامام الاسانسير على أن يصطحبني ولما قلت أنا افضل أن انزل على السلم نزل معي ثم رافقني حتى باب سيارتي، سلم بحرارة.. وكانت الجلسة الأولي.. والاخيرة.

ولكن الأمور لم تتهادى هكذا. فعندما احتفلنا بعيد تأسيس حزبنا كان المعتاد أن يحضر مندوب (دون اعلان انه مندوب) عن الحزب الوطني. ولكن لم يحضر احد وإنما كان هناك عدد كثيف من اعضاء الشورى وفيهم قيادات في الوطني وقد أتوا مجامله لي، وحرصت أن اسألهم هل طلب احد منكم الحضور كممثل عن الحزب وكانت الاجابة بالنفي المصحوبة بالاستهجان من مسلك القيادة، ولاحظت في منتصف الاحتفال سبت ورود يتهادى وعليه بطاقة من صفوت الشريف. وعلى اية حال فقد كان هناك جلسة ختامية لمؤتمر الحزب الوطني ووجهت لي دعوة، والمثير للدهشة أنهم كانوا حريصين على حضوري وأذكر أن عددا من القيادات بالحزب الوطني سألوني انشاء

الله حتحضر الحفل الختامى وكانت اجابتى مع الجميع انشاء الله لن احضر. وبعد إلحاح الكثيرين (ولست أدرى لماذا؟) قلت ارسلوا ورودا وسنرسل ورود، ولم أكن أعرف أن ورود الكبار غالية جدا إلا عندما أتت لى فاتورة الورد.

* * *

واستكمالا للحكايات مع وعن "الاستاذ جمال".. أتى د. محمد كمال مبتسما وقال فلان سيسألك عنى فقل شهادة خير. وقال انه تقدم للزواج من بنت أحد أصهارى وأن الرجل استقبل حديثه عن وضعه فى لجنة السياسات بلا اكتراث واعتبر ان ذلك لا يعنى شيئا ولا حتى عضوية الشورى لفتت انتباه والد العروسة الذى يعمل استاذا جامعيا مرموقا لكنه سليل أسرة من رجال الأعمال الاثرياء والذين لا يعترفون بلعبة السياسة (خاصة أنهم شهود على ما كان قد اصابنى واصاب اسرتى بسبب السياسة وحتى هم اصابهم رذاذ من ذلك). وكلمنى صهرى وقلت خيرا فى الرجل ومع عقد القران جاءت من صهرى بطاقة دعوة شديدة الاناقة ومكان الفرح قصر محمد على فى شبرا. وبالتليفون سألت ابو العروسة .. ايه اللى وداكم هذا القصر الذى لم يسبق أن عقدت فيه أفراح ولا حتى افراح الأسرة المالكة. فقال اختاروه لأن جمال مبارك سيحضر وأبدى أبو العروسة عدم رضائه عن وضعه شخصيا (فى هذا الاستثناء) وفكرت طويلا خاصة وأن كل الأسرة بجميع فروعها (الغنية فقط طبعا) سوف تأتى من المنصورة ومدى ملاءمة انى احضر ولكننى فى نهاية الامر قررت عدم

الحضور واكتفيت بورود. وأذكر أن عادل حمودة أثار القضية وكيف أن "الأستاذ جمال" أمر باستخدام القصر المهيب لفرح سكرتيره. ولست أدرى كيف عرف البعض بصلة المصاهرة وربما لأن الجميع عرفوا أن اسرة من المنصورة وتوالت اسئلة الصحفيين. هل حضرت؟ من حضر؟ ما صلة القرابة؟.. وأدركت أن عدم حضورى كان الحل الصحيح.. وبعدها أكد لى والد العروسة احترامه لقرارى بعدم الحضور. والمهم أن العريس وجد نفسه فى مأزق عندما حوصر من بعض الصحفيين كيف؟ ولماذا؟ وأجاب لم يكن عقد قران وانما حفل استقبال. لكنه كان عقد قران أو هكذا كانت تقول بطاقة الدعوة.

***

وأعود لألاحظ أن صفوت الشريف كان غير مرحب بالدور الذى يلعبه (الاستاذ جمال) وأن كان يرضخ له كأمر واقع، خاصة مع تواتر الاخبار بأن عديدا من الوزراء تلقوا تعليمات هامسة بأن يعرضوا "البوسته" على جمال بدلا من الرئيس. وأن الاستثناء كان فقط وزارات الدفاع - الداخلية- الخارجية.. وما عدا ذلك فتحت إدارة جمال. وبدأ اقرار الأمر الواقع يسري. وأذكر واقعة ذات مغزى فقد أتى الأخ فرج الرواس إلى عضوية مجلس الشورى عقب انتخابات دعمه فيها فتحى سرور، ثم ومع التجديد وقف فتحى سرور ضده بضراوة، وحاول الرجل أن يستعين بعدد من شخصيات مجلس الشورى فكلمنى وأشرت عليه بعقد مؤتمر انتخابى وأن يدعو إليه وكيل المجلس المستشار عبد الرحمن فرج محسن والدكتور

خلاف عبد الجابر خلاف أمين اللجنة الاقتصادية وطلب أن احضر فى المؤتمر فقلت سأستشير زملائى فى حى السيدة واستشرتهم فقالوا لاتحضر أنت ولكن اطلب منه أن يدعو أحدنا للحديث فى المؤتمر وسوف نعلن نحن تأييدنا لترشيحه. وعقد المؤتمر ويبدو أن فرج الرواس فهم أننى تعرضت لضغوط فتحايلت وكلفت أحد زملائنا لإعلان تأييدي. وبعد المؤتمر تزايدت ضغوط فتحى سرور مع تزايد فرص نجاح الرواس بفضل نفوذه العائلى فى المدبح وانفاقه الذى بلا حدود. ومع الضغوط الأمنية التى أمر بها فتحى سرور ومجاملة كمال الشاذلى لسرور قرر الرواس تفجير الأمر علنا.. وكان جمال يحضر مؤتمرا للحزب الوطنى فى أسيوط فذهب الرواس إلى هناك بحجة أنه ذاهب لواجب عزاء. ثم دخل الاحتفال وبعد أن تحدث جمال وفتح باب الحديث طلب الرواس الكلمة.. وقال أن فتحى سرور يطارده رغم أنه ابن الحزب الوطنى ومرشحه وأن الضغوط طالبت من حضروا مؤتمره الانتخابى من اعضاء الشورى وطالبت مسئول حزب التجمع فى السيدة لأنه حمل رسالة تأييد منى له.. كنت فى مارينا وكان سرور فى جنيف ووصله الخبر وكلمنى مفزوعا.. من وصول هذه الشكوى إلى الاستاذ جمال شخصيا وسألنى هل اتصل بك أحد من الرئاسة أو من عند الاستاذ جمال وكنت مندهشا من فزع رئيس مجلس الشعب إلى هذا الحد فقلت له لم يتصل بى أحد ولا يجرؤ أحد أن يسألنى فى هذا الأمر.. ووصلت المكالمة للاستاذ جمال.

ثم كانت واقعه أخرى حيث وجه "الاستاذ جمال" الدعوة لسفراء عديد من الدول الأوربية ليتحاور معهم فى مؤتمر لقيادات الحزب الوطنى يعقد فى وزارة الاستثمار، وتلقيت مكالمة تدعونى للحوار وتبلغنى سيكون مقعدة فى الصف الأول (كأن ذلك مغريا) وسألت هل ستتاح الفرصة للحديث فقالوا للأسف لأ. فقلت للأسف لن احضر أنا لا أصبح أن أكون ديكورا. وتراكم امتعاضات متبادلة. لكن كلينا حاذر من أى تصادم.

* * *

وأذكر أن الرجل المبتسم زميل نادى الجزيرة (هل تذكرونه) تحدث فى إحدى مقابلاته الخاطفة وقال "سمعت ومش متأكد من صحة الخبر. أن المشير وعمر سليمان قابلا الرئيس معا. وقالا له : انت استاذنا ورئيسنا ونحن مدينون لك بالطاعة والولاء ولكن الأخ جمال لم يزل لم ينضج بعد، وحوله شلة فاسدة وتستغل علاقتها به لمزيد من الفساد ومن ثم فإن أمر توريثه يحتاج لمزيد من التروي، لأن ذلك قد يحدث هزة فى البلد.

وختم المبتسم روايته مبتسما وقائلا أنه مش متأكد من صحة هذه الحكاية .. ومن ثم فإننى ارويها ولست متأكدا من صحتها .. من صحتها.

وأذكر ايضا وهذا أنا متأكد منه لأن من رواه لى كان حاضرا بنفسه انه خلال القاء الريس مبارك خطاب افتتاح دورة البرلمان بمجلسيه ثم انتابته حالة تشبه الاغماء لكنها لم تكن إغماء بالمعنى

المفهوم وكان إلى جوارى محمود الشناوى والرئيس على بعد صفين أو ثلاثة ويبدو أنه أدرك أن الرئيس على وشك الانهيار فصاح به "كفاية يا ريس" مبارك اخرج منديله ومسح عرقا غزيرا وسأل فى همس مسموع "الدنيا حر ليه" ثم تدافعت كلمات مرتبكة ومتداخلة وهنا قفز شخص مدنى (من الحرس الرئاسي) من اعلى مقصورة بالقاعة ونزل ثابتا على قدميه وأخرجوا الرئيس كان يقاوم بعناد أن يبدو متهالكا لكنه خرج وخلفه د. فتحى سرور وصفوت الشريف والمشير وأغلق الباب فى وجه الآخرين. وفيما تلف الحيرة الجميع صاح شيخ الأزهر الشيخ طنطاوى "ادفعوا البلاء بالدعاء" وعلى صوته "يارب" ورددها خلفه اعضاء المجلسين، وظل الصياح الجماعى فى مشهد مثير للدهشة.. وربما للسخرية. وفجأة فتح الباب وصاح أحدهم "الدكتور حمدى السيد يتفضل" وخرج حمدى السيد لخمس دقائق ثم عاد ليهمس فى أذنى "لسه قاعد على قلبنا" وكان جمال قد نزل من المقصورة وقال بصوت آمر "استدعوا الاسعاف ليسرع بالرئيس إلى موقع الهليوكبتر فى الجزيرة": وقال لى أحد الحاضرين أن صفوت الشريف صاح موجها كلامه إلى لا أحد "بلاش لعب عيال. مش عايزين ارتباك وسط الناس ويهز البلد امام العالم والرئيس كويس.." ومرة أخرى فتح الباب "الدكتور مصطفى الفقي" وأدرك الحضور أن الفقى مطلوب لاختصار ما تبقى من الخطاب فيحضر الرئيس ويلقيه، وسمعت فى سهرة عادية حضرها الشريف قوله أنهم فى الرئاسة "طلبوا من الفقى اعداد خطاب لا

يتجاوز إلقاءه ٢٠ دقيقة لأن الرئيس تعبان وعنده برد، لكن الفقى اطال كالعادة ودخل فى عشرات المواضيع وتحدث الرئيس أكثر من ساعة ولم تزل اغلب الصفحات لم تقرأ. وشخط الشريف فى الفقى اختصر ليتحدث الرئيس خمس دقائق فقط، ودخل الرئيس ليستقبل بتصفيق حاد.. تأملت المشهد وتساءلت فى سرى هل كل هذا حب؟ أم بعضه حب وبعضه خوف على استقرار البلد، أم بعضه خوف من جمال ورجاله الذين توحشوا فى فرض نفوذهم. وسريعا انهى مبارك ما تبقى من دقائق.

لكننى اعتقد أن عبارة "بلاش لعب عيال تركت جرحا فى العلاقة بين الشريف وجمال، وأن الشريف انتشى بما ابداه من ثبات فى معالجة الموقف محاذرا فى نفس الوقت وبحرص شديد على عدم التصادم.

مع الوزير عمر سليمان

ولقد امتد عمق العلاقة المشاغبة مع رجل المخابرات المصرية العتيد لسنوات الثمانينيات عندما كانت جريدة الأهالى لم تزل تتخذ مقرا لها فى شارع عبد الخالق ثروت، حضر إلى الساعى عم عبد العليم المسئول عن فتح المقر وإغلاقه ليبلغنى أن شخصين تلقفاه فى الشارع أمام مقر الجريدة وابلغاه انهما من "المخابرات العامة" ويطلبان منه أن يسلمهما نسخة من مفاتيح المقر. ولما تردد متسائلا كيف يعرف أنهما من المخابرات؟ قطع أحدهما ورقة من مفكرة صغيرة وكتب عليها رقمى تليفون (أرضي) وأن يطلب "المهندس فلان وسيرد عليه أحدهما". وكان الرجل مرعوبا، وأخذت منه الورقة الصغيرة. وبعدها جلست مع الاستاذ خالد وبحماس منفعل قلت اقترح أن يطلب عم عبدالعليم أحد الرقمين ويطلب مقابلتهما وفى الموعد

اذهب معه والقنهما درسا. قال الاستاذ خالد تعلم ألا تلاعب النمر. وتكلم تلفونيا مع الوزير طالبا مقابلة لنا معا. كان الوزير عمر سليمان كما رأيته لأول مرة هادئا وواثقا من نفسه ويعرف متى وكيف يرسم ابتسامة تأتي ذات معان متعددة. واعتقدت منذ الوهلة الأولى انه يعرف لماذا كانت هذه الزيارة. وشرح الاستاذ خالد الموضوع وقال أنا اعتقد أن المسألة مش مسألة المفاتيح فأنتم تستطيعون الدخول حتى من تحت عقب الباب، وكانت الابتسامة الأولى مصحوبة بعبارة "مش للدرجة دي" ثم وعندما حاولت أنا اتكلم اراح هو ظهره على المقعد المريح بطبيعته ووجه كلامه لي "سائلا" هو مقر الأهالي فين؟" وهكذا استدرجني إلى ما يريد قلت بشارع عبد الخالق ثروت. قال والشارع ده فين؟ فقلت مندهشا في وسط البلد" وتمادي" أنهى بلد؟ ورغم أنني فهمت اضطررت للاجابة قائلا "القاهرة" وقال بهدوء مصنوع بإتقان "يعني جوه مصر احنا نشاطنا مقصور على ما هو خارج مصر، وفيما استعد لهجوم مضاد، قال الاستاذ خالد بهدوء يليق به وبالوزير، يبقى حضرتك تسمح لنا أن نبلغ النيابة عن هذين الشخصين لأنهم كده يبقوا نصابين أو لصوص؟ وهكذا تناطح الهدوء مع الهدوء، واجاب الوزير متجاوزا تحدى الاستاذ خالد هي الورقة دى فين؟ واخذها ولاحظ الرقمين، وأنا قلت مغتاظا أنا مطلبتش الرقمين ممكن حضرتك تطلب رقم منهم؟ فرد بهدوء ازداد عمقا "مالوش لازمة". وشربنا القهوة وانصرفنا دون أية كلمة زائدة وكأن شيئا لم يكن، لكن

الشخصان اختفيا وظللنا الاستاذ خالد وأنا لم نعثر على اجابة للسؤال المحير لماذا؟

* * *

وبمناسبة الحديث مع الوزير عمر سليمان عنه انحنت ذاكرتى إلى واقعة جانبية، كنت ضمن وفد للشورى بالكويت وكان أحد نواب مجلس الأمة الكويتى يتواصل بالعلاقة مع الوفد المصري، وخلال زيارة مقررة لكل الوفود حيث صور بعض من كانوا يسمونهم الاسرى الكويتيين لدى العراق خلال فترة الغزو العراقى للكويت، وكانت الصور مؤلمة لأطفال شباب وشابات وكهول.. وفيما يسود الألم المناخ العام سحبنى النائب الخرينج وكان أحد المسئولين فى لجنة الدفاع عن الاسري، وسألنى "هل صحيح أنك صديق للقيادى الفلسطينى عبد الله حورانى فقلت مندهشا "صحيح" وهو صديق عزيز وشخصية محترمة. فقال الخرينج طبعا طبعا. وفى المساء دعيت إلى لقاء مغلق كان الخرينج حاضرا ومعه شخصان وطلبوا منى أن ارتب لقاء مع عبد الله حورانى فهو وفق تعبيرهم "واصل مع القيادة العراقية ونريد وساطته لتفاهم حول الطلبات العراقية للافراج عن الاسري. وفى صباح اليوم غادرنا الكويت وفى الطائرة جلست إلى جوار د. مصطفى كمال حلمى وحكيت له، فقال يجب أن نبلغ الوزير عمر سليمان لنعرف رأيه هل تتدخل أنت فى هذا الأمر أم لا؟، وفور عودتنا ويبدو أن د. مصطفى كان متعجلا فوجئت بمكالمة من الوزير (كانت مباشرة دون مرور عبر السكرتارية) كان ودودا جدا وقال : الحقيقة إن

معلوماتنا أن مفيش اسري، لكن طالما هم طلبوا مساعدتنا ارجوك ساعدهم قدر الامكان، واتصلت بعبد الله حورانى ورتبت له لقاء مع النائب الخرينج جلسنا ثلاثتنا فى نادى السيارات. ولما عرف حورانى الموضوع بادرنا قائلا : أنا لا أعرف إذا كان هناك أسرى أم لا، ولكننى كمسجون سابق اعرف أن فى كل سجن مهما كان يمكن أن يوجد "ملاك" أو حتى "مرتشي" يمكنه أن يسرب اخبارا عنهم، وقلت أنا "على العموم ارجوك ان تحاول وأن تبذل جهدك " فقال اعتقد أن الشخص الذى يمكن سؤاله فى هذا الأمر هو "الرفيق طارق عزيز" فقلت انت تعرف انه صديقى فانقل له رجائي. ولأن الأمر يتطلب ترتيبات متعلقة بنفقات السفر وغيرها وجدت انه من الافضل أن اكتفي أنا بذلك وغادرت. وبعدها جاء حورانى مرة أخرى القاهرة ونقل لى رسالة من طارق عزيز يؤكد فيها هو شخصيا لى شخصيا انه لا يوجد اسري، وأن التعليمات هى عدم نفى وجود اسرى رسميا ليبقى الأمر مربكا للسلطات الكويتية. وسألت حورانى وماذا ستقول للاخ الخرينج قال : أن الاجابات التى اتفق عليها مع طارق عزيز هى : يقول العراقيون أن هذا الامر ليس محل نقاش. وبعدها بنصف ساعة اتصل بى الوزير عمر سليمان، وقال ضاحكا : لم أكن أعرف انك صديق لطارق عزيز. وعرفت أنهم عرفوا التفاصيل فقلت المهم أنا مش عارف حأقول ايه للأخ الخرينج : فقال اترك لى هذه المسألة، وتركتها.

وسنوات طويلة مضت حتى زارنى واحد من رجال المخابرات فى منتصف احداث يناير ٢٠١١ وقال : معالى الوزيرعايز يقابلك

والتقينا فى مقر رئاسة الوزراء وتبدى الأمر من بدايته وكأن له مكتبا وسكرتارية وترتيبات أمنية خاصة به هناك، استقبلنى الوزير مرحبا وكأننا اصدقاء قدامي، وسألنى ما رأيك؟ وقلت رأيى بغاية الصراحة وقلت الهروب إلى الامام لا يجدي، وكلما طال الأمر تضاعفت المطالب الجماهيرية.. ولابد من حل جذري، فقال يعنى ايه جذري؟ قلت يعنى جذرى أى القبول الفورى لمطالب "الميدان" والاطاحة برؤوس الفساد وهم ذاتهم رؤوس النظام وأن يعترف الرئيس علنا ودون مواربة بالاخطاء كاملة، وأن يؤكد صراحة انه لا توريث وانه لن يترشح فى الدورة الرئاسية القادمة لا هو ولا ابنه، كان ينصت بلا مقاطعة حتى انتهيت. فوقف وسلم على طالبا للجالس الذى كان يكتب كل حرف قلته وهو بالمناسبة ذات الشخص الذى رتب اللقاء "ابعت لى المحضر فورا".

وبعدها بيوم دعيت إلى اجتمع مع عديد من رؤساء الاحزاب وقادة العمل السياسى وفيما يسير ذات الشخص (الذى يبدو وكأنه مدير مكتب الوزير فى هذه المهمة) همس فى اذنى معالى الوزير يرجو أن تخفف من المطالب حتى يتمكن أن يناقشها هو مع الرئيس.

وكان ترتيب الجلوس مثيرا للدهشة الوزير وأنا إلى يساره مباشرة ود. حسام بدراوى الأمين العام للحزب الوطنى على يمينه وبعده سيد البدوى وعلى يسارى أنا الدكتور سعد الكتاتنى النجم الاخوانى الذى سطع فى هذه الايام (ربما لاخفاء النجوم الاصليين)

بدأ الوزير الجلسة بكلمة قصيرة جدا، تقول باختصار نحن فى أزمة حقيقية ونتمنى أن يراعى الجميع ذلك وان نسعى معا لحماية الوطن. ثم ولمزيد من الدهشة اعطانى الكلمة فقلت ما سبق قلته له وانما برفق ودون افصاح صريح ولكن الفهم متاح لمن يريد. ثم اعطى الكلمة للدكتور حسام ليلقى كلمته كأمين عام للحزب الحاكم فإذا بحسام بدراوى يزيد الدهشة دهشة أخرى إذ قال وبإيجاز محكم "أنا متفق تماما مع ما قاله رفعت السعيد، واكتفى به، وخيمت الدهشة على الجميع.. وسار الاجتماع فى هذا المسار تقريبا حتى سعد الكتاتنى رغم التواء كلماته فإنه لم يرفض.

وانتهى الاجتماع لنخرج ونفاجأ بعدها ببيان يفترض انه يعكس ما توصل إليه الاجتماع، لكنه قال كلاما آخر يمكن أن يفهم على اكثر من وجه. واتصلت بالسكرتير أو مدير المكتب سيان وابديت غضبى قائلا "هى المرة الاولى والاخيرة التى أحضر فيها لقاء كهذا. الرجل اعتذر بأدب وبعدها بقليل اتصل ليبلغنى بموعد عاجل وهام جدا مع الوزير منفردا فى التاسعة والنصف صباح اليوم التالى بمقر مجلس الوزراء. وفيما احاول الاعتراض ألح بأن الأمر هام جدا. وفى اليوم التالى دعيت للحديث فى برنامج "صباح الخير يا مصر" وفيما اتجه إلى ماسبيرو مررت على مجلس الشورى لاحصل على بعض المعلومات عن المعارك الدائرة حول مبنى وزارة الداخلية وشارع محمد محمود..وهالنى اصوات بنادق آلية.. مصوبة بقدر أو بآخر إلى صدور الشباب. وكنت قد تلقيت فى الصباح نبأ استشهاد اثنين

من شباب حزبنا فتوجهت إلى ماسبيرو وأنا أغلى وما أن دارت الكاميرات حتى قلت لمقدم البرنامج لدى خبر عاجل جدا فقال تفضل وقلت "سبق أن حددوا لى موعدا قيل انه هام جدا مع الوزير عمر سليمان، وانا ابلغه الآن على الهواء مباشرة أننى لن اذهب لمقابلته، فليس ممكنا ان اذهب لأتفاهم معه على اى شيء حتى ولو كان مهما جدا بينما الرصاص يغتال المزيد من الشهداء .. فقال مقدم البرنامج "لماذا لا تذهب وتقول له ما تريد؟ قلت أن ضميرى لا يسمح لى بمجرد المقابلة فى ظل هذه الأوضاع" وبعدها اتصل ذات السكرتير أو مدير المكتب، وقال "للاسف كان الاجتماع مهم جدا" فقلت لا يوجد أهم من دماء الشهداء. فقط اضيف أننى بعد ماسبيرو توجهت إلى جلسة الشورى وعلمت أن ترتيبات تجرى لتشكيل حكومة جديدة وحمدت الله أن نجانى من هذه المقابلة .. وكان هذا الموعد الاخير مع صقر المخابرات المصرية العتيد.

جلسة الشورى الأخيرة

لم يعلن أحد انها الأخيرة لكن أى قارئ جاد للأحداث كان يتوقع ذلك بنسبة كبيرة. فقد كان الطريق إلى المجلس مشحونا بسيارات محترقه وعربات أمن مركزى مدمرة وتسد الطريق، أنها رائحة لا تخطئها الانف التى تمتلك بعضا من الحساسية. القاعة تخيم عليها الكآبة رغم تظاهر البعض بالحيوية، وقيادات الوطنى تراكمت فى غرفة زعيم الاغلبية لتدخل القاعة معا وهى تتضاحك وكأن الجلسة واحدة من الجلسات العادية.

السيد صفوت الشريف اكثر تجهما عن ذى قبل ربما لأنه يعرف أكثر من غيره. اللواء رفعت مطاوع نائب الأمين العام والصديق الحميم للكثيرين يغمرهم دوما بابتسامة مشرقة وثلاجة مليئة دوما بالزبادى والرز بلبن يتناولها كل من يشاء كما يشاء، كان هذا اليوم

بلا ابتسامة فهو ليس ساذجا كالكثيرين، وحتى الساعي نسي او تناسى تعبئة الثلاجة.. والغرفة باختصار صامتة وكأنها في حالة وداع. المتجهم صفوت الشريف افتتح الجلسة لمناقشة "الوضع السياسي الراهن" أنا كنت مستعدا كتبت كلمتي على غير المعتاد، وطبعت منها عشرون نسخة وزعتها على الصحفيين المتراكمين في شرف الصحافة وكأنني كنت ادرك ان مناخ الجلسة لن يسمح لي بإكمال ما أعددت. تحدث زعيم الاغلبية.. ولا جديد الولاء للرئيس، الحزم مطلوب وبحث المشكلات سريعا.. وبعد أن ساد الملل من كلمات متشابهة حتى في طريقه الأداء ومن تكرار ذات الجمل التي ورثها الناصريون من قيادات منظمة الشباب ثم ظلوا يرددونها حتى أيام مبارك الاخيرة. مثل "ارادة الجماهير الشعبية تفرض علينا حماية مكتسابتها" ومثل "اقول بكل الصدق أن هؤلاء ليسوا معبرين عن ارادة الجماهير" إلخ وإذ تعلو سحابات الملل المصحوبة بخوف الكثيرين من مجرد أن يفتحوا فمهم فقد يكون.. أو قد لا يكون الصمت من ذهب. ولم يعد أمام رئيس الجلسة المتجهم إلا أن يلجأ إلى ممثلي الاحزاب الاخرى من امثال الجيل والتكافل والامة والاحرار.. إلخ وكانت كلماتهم ذات الصوت العالي تقول مثل ما سبق وإن بعبارات مختلفة واحيانا فيها هجوم على "شباب الميدان" واتهامات لهم.. وكان لابد للدور أن يأتي نحوي رغم أني طلبت الكلمة قبل الجميع. ولعل الاستاذ صفوت اراد بخبرته أن يربكني بعد أن نقل إليه الناقلون عبر ورقة تسللت

إليه خلال الجلسة بأننى وزعت على الصحفيين نص كلمة من عشرين صفحة من القطع الصغير.. فقال دون أن ينظر إلى القاعة مناديا اسمى مشفوعا بوعيد "الكلمة من الآن ثلاثة دقائق فقط. ووجدت نفسى اقول بصوت مرتفع ولكن هادئ "تكلمتم وحدكم ثلاثين عاما.. الآن اتكلم انا ثلاث دقائق. ثم قلت جملتين حملتا كل ما أردت.. "من الضرورى أن يقدم الأمين العام للحزب الوطنى نيابة عن الحزب اعتذاراً لجماهير الشعب على كل ما كان فى الماضى وأن يتقدم ببرنامج جديد يحقق العدل الاجتماعى ويقضى على الفساد ويستجيب لمطالب الميدان. ثم جملة اخرى أن نص الدستور يقول "يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها" وبهذا يكون الرئيس مسئولا عما تولاه وعما مارسه عبر السلطة التنفيذية التي..... وعددت عشرات من الخطايا وعليه أن يتقدم للشعب باعتذار واضح ومحدد وهنا اعلن الرئيس الثلاث دقائق انتهت ونادى على متحدث آخر. وحملت أوراقى صامتا وأنا اعتقد تقريبا أننى لن اعود إلى هذه القاعة.

والمثير للدهشة أن عشرات الاعضاء والصحفيين والعاملين والسعاة قد هنأونى ومن بينهم اعضاء تكلموا فى ذات الجلسة نفاقا. أما اللواء رفعت فلم يقل وإنما وقف وقبلني.

وزير داخلية سابق

كنت دوما ولم أزل اتساءل فى صمت ماذا يفعل وزراء الداخلية بالذات بانفسهم عقب مغادرة المنصب، فهم ليسوا كغيرهم من الوزراء الذين يتولون وبعد فترة مواقع دولية أو فى شركات كبري، أو يؤسسون جمعيات ثقافية أو اجتماعية فهم لم يعودوا مجرد لواءات شرطة يصلحون كمحافظين أو مديرى أمن فى شركات. لكننى دهشت عندما فوجئت بوزير داخلية سابق يمكن القول أنه من وزراء يناير وهو يأتى إلى مكتبى بلا حراسة ولا مرافقين ليطلب عديدا من أعداد مجلتنا "ادب ونقد" وقال انه مهتم بالنقد الادبى ويريد أن يتابع ما فاته وهو وزير.. وبعد أن قدمت له ما أراد" بدأنا نشرب القهوة وندردش حول الاوضاع الامنية التى كانت لم تزل غير مستقرة (كانت زيارته فى منتصف ٢٠١٤) وانحنى الحديث

عبر اسئلة من جانبى ليقدم معلومتين هو مسئول عنهما، لكننى أسر وهما لأهميتهما وليس أكثر.

الأولى حول قصة سيارات السفارة الأمريكية التى دهست الكثيرين من شباب الميدان ثم ابلغت السفارة أنها سبق أن سرقت. قال الوزير إن الجميع يعلمون أن سيارات السفارة مبرمجه الكترونيا بحيث لا يمكنها أن تتحرك من مكانها إلا باستخدام كارت ممغنط خاص بها وبه Pass word لا يعرفه إلا صاحبها أو سائقها.

أما المعلومة الثانية فقد أتت عبر المقارنة بين حشود يناير و ٣٠ يونيو. فقال الوزير "كانت هناك ولم تزل مبالغات حول المحتشدين فى التحرير خلال أحداث يناير وقدم معلومة مثيرة للدهشة.. "لقد حسبنا مساحة الشوارع والارصفة فى المنطقة المحيطة بالتحرير والممتده من دار الحكمة بشارع القصر العينى ثم إلى ميدان طلعت حرب ومع امتداد القوس إلى ميدان عبد المنعم رياض، وامتداده من طرفه الآخر حتى باب اللوق.. ثم من الناحية الأخرى حتى كوبرى قصر النيل.. هذه المساحة مجملها ثمانين الف متر مربع، وإذا تصورنا أن المتظاهرين لو تلاصقوا معا وتم ترصيصهم كزجاجات الكوكاكولا فى صناديقها وبحيث لا يستطع أحد أن يتحرك أو يتنفس فإن المتر المربع لا يحتمل سوى تسعة افراد".. ثم اضاف "قول عشرة" يبقى اقصى عدد كان فى قمة الاحتشاد ٨٠٠٠٠٠ بينما يونيو ٢٠١٤ كان وفق جوجول ٣٠ مليونا وابتسم قائلا الفرق كبير قوي.

وباليقين يحمل وزراء الداخلية كثيرا من اسرار كهذه ..ولهذا فالمطلوب منهم هو أن يعتكفوا فى بيوتهم.

إنقاذ من؟

ويأتى بنا الحديث - وهذا ضروري- إلى جبهة الانقاذ لتصبح شهادتى صعبة وشائكة ولكن لا بأس فالحقيقة - من وجهة نظرى على الأقل - يجب أن تكتب يوما ما.

ويمكننى أن أقول ان الاجتماع الأول للجبهة قبل أن تتسع ساحتها لمساحات أخرى من السياسيين والشباب والنساء.. قد جاء كأمر واقع فالتجمع والوفد والديمقراطى الاجتماعى والمصريين الأحرار كانوا يتشاورون معا فيما يجب أن نفعل معا.. وعندما أصدر محمد مرسى تعديلاته الدستورية التى حسمت تردد الكثيرين جلسنا معا.. وبدأت الدائرة فى الاتساع عمرو موسي، البرادعي، سامح عاشور، منى ذوالفقار، شاهنده مقلد ولابد أن اسما أو اسمين قد سقطا من الذاكرة، ومع توالى الاجتماعات توالى

اتساع دائرة الحضور. وكانت مشاركة حمدين الصباحى منذ البداية مثارا لدهشتى فهو الذى تحالف علنا تحالفا ممتدا مع الجماعة الإرهابية وأوفد خمسة من رجال حزب الكرامة المنتمى إلى شخصه إلى قوائم الإسلام هو الحل، واسماؤهم معلومة ومنها مسيحى ترشح هو أيضا تحت راية الإسلام هو الحل، ثم تناثر حضور آخرين بعضهم حضر صامتا وظل صامتا وبعضهم قليل الأثر وقليل التأثير ومن ثم كان قليل الحيلة. ونعود إلى البدايات. فمنذ البداية تبدت منافسة واضحة جدا ومهذبة جدا بين عمرو موسى والبرادعي. كل منهما يريد أن يكون رقم واحد فى الجبهة ربما ليكون رقم واحد فى مستقبل الاحداث، والمثير للدهشة انهما لم يختلفا كثيرا فى مواقفهما الأساسية فعندما تأزمت الأمور وتعالت المعارضات وتصاعدت حدة الشعارات تحددت مواقف كل منهما. وأقول بوضوح آمل ألا يغضب أى منهما. عمرو موسى كان يقول بحسمه المعهود وصوته المميز وقبضته تصاحب كلماته لتزيدها حسما ليؤكد أكثر من مرة "نحن معارضون ولسنا مناكفون" هذه العبارة رددها عشرات المرات فترسخت فى ذاكرتي، ومن ثم تمضى الكلمات الحاسمة نريد إصلاح ما يجرى وليس تخطى الشرعية ولا مجال لرفع شعار إسقاط مرسى فهو رئيس منتخب". ولم يكن البرادعى مختلفا كثيرا فى موقفه، فكان هو أيضا يرفض رفع شعار اسقاط حكم الإخوان، وإنما يرى أن نمارس ضغطا منظما ضده ليصحح مواقفه. وبطبيعة الحال كان يختلف فى بعض المواقف عن عمرو موسى لكن الخلاف كان

دبلوماسيا رفيع المستوي، فإذا اختلفا أدلى كل منهما برأيه دون أن يوجهه للآخر وحتى دون إن ينظر إليه وإنما إلى السقف أو إلى الجالسين فى غير اتجاه الآخر، كما كان رد فعل كل منهما مختلفا، فعمرو موسى عندما يحتدم خلافه مع أحد الجالسين أو حتى غالبيتهم، ينسحب من الاجتماع دون أن نعرف هل خرج ليتحدث تلفونيا أو لشأن آخر ويعود، لكنه لا يعود وإنما يخرج متعمدا أن تتلقفه عشرات الكاميرات الفضائية التى كانت تلاحق اجتماعاتنا فيكون أول من يتكلم وأول من يدلى برأيه هو، فالاجتماع يكون لم يزل لم ينضج شيئا. ومع توالى الاجتماعات توالى ذات الأمر.

أما البرادعى فكان أيضا وبأسلوب آخر يرفض شعار اسقاط حكم الاخوان، ليقول بهدوء لا نريد أن نفقد تأييد القوى العالمية لتحركنا فهم يتمسكون بشرعية مرسي. وفى منحنى الجلسة وعندما نتوقف لفترة راحة كان ينتحى بى ولست ادرى لماذا كان يستعين بى ولست ادرى ايضا إذا كان يفعلها مع آخرين أم لا، وكان يهمس "ماكين كلمنى امس وهو غير راض عن شعار اسقاط حكم شرعى ورئيس منتخب" ولم أزل اذكر أن عبارة ماكين اتصل بى أمس" تكررت مع همسات البرادعى وفى أحد الاجتماعات (وأظن كان ذلك عند الهجوم الاخوانى الوحشى على المعتصمين امام قصر الاتحادية) تصاعدت حدة رفع "شعار الاسقاط" وكان سيد البدوى متحمسا لذلك على غير عادته وتقرر تكليف سامح عاشور بصياغة بيان وترك سامح الاجتماع هو وعدد من الحاضرين لصياغة البيان

وبعدها يحضر ليعرض مشروع البيان على الاجتماع الذى توقف لحين اعداد الصياغة. كان عمرو موسى قد تسحب كعادته، وكان البرادعى متوترا جدا ثم فجأة اتجه إلى قائلا "روح شوف بيعملوا ايه واذا كان فى الصياغة اى اشارة إلى الاسقاط ابلغهم اننى مستقيل من الجبهة. (وسألته لماذا يطلب منى أنا وهناك آخرون، فقال (وهذا صحيح) انت الذى تتكلم بصراحة وتعارض بوضوح أى مختلف معك، والآخرون لا يريدون اغضاب أحد فيكتفون بالصمت. واكتشفت أن هذا صحيح، وأنه يتكرر دوما). وذهبت إلى حيث تعمل لجنة الصياغة، وكان مشروع البيان قد أنجز تقريبا وكانت به عبارة "اسقاط النظام المستبد" وتحدثت مع سامح عاشور حول كيفية معالجة تهديد البرادعى الذى كان يتبدى جديا. واتفقنا انه ليس من المصلحة تمزيق الجبهة فى هذا الوقت الصعب، وامسكت بالنص واقترحت بدلا من "اسقاط النظام المستبد" عبارة أخرى تستخدم ذات الكلمات لكنها تحمل معنى مختلفا تماما وهى "اسقاط استبداد النظام" ووافق سامح متفهما صعوبة انسحاب البرداعى فى هذا الوقت. أما لجنة الصياغة فيبدو أنها لم تلتفت للفارق. وعدت للبرادعى الذى وافق وسألنى فى دهشة "جبت الشطارة دى منين؟" وفى الجلسات الاخيرة كان الصراع مريرا بين عمرو موسى والبرادعى حول موقع "منسق الجبهة" وكان هناك غضب هامس بين قيادات الجبهة (لم يعبر الكثيرون عنه علنا كالمعتاد لكى لا يتواجهوا مع عمرو موسى بسبب انسحاباته المفاجئة واستباقه

للحديث إلى الفضائيات المتجمعة قبل الجميع وحتى قبل أى اتفاق) وكان البرادعى يلح وتتوزع همساته على آذان عدد من رؤساء الاحزاب "ماكين يلح على ضرورة اختيار شخص واحد يجرى الاتصال معه باسم الجبهة، والفرصة ستضيع إذا لم تنتخبونى منسقا" وأنا لم أكن لا معجبا بالتداخل الامريكي، ولا بالاتصالات المتوالية وشبه اليومية التى يقول البرادعى أن ماكين يجريها معه. ولكن يبدو أن البعض سال لعابه طمعا فى مساندة امريكية لازاحة مرسى لأن ذلك سيحسم الامر. وعلى اية حال انتهز بعض قادة الجبهة (فالمشاورات الجانبية كانت تجرى معهم وبينهم فقط) فرصة خروج عمرو موسى ليلحق بكاميرات الفضائيات واختير البرادعى منسقا دون معارضة أحد ودون تصويت. والمثير للدهشة أن الكثيرين ومنهم البرادعى وموسى كانوا مغمضى الأعين عن ترتيبات أمريكية أخرى لاختيار أحد السلفيين رئيسا وهو ما سأتحدث عنه لاحقا.

ونأتى إلى حمدين الصباحى الذى كان يأتى دوما متأخرا ودوما مبتسما ابتسامته المصطنعة ودوما يحشر نفسه ليكون فى صدر المجلس. وكثيرا ما كان الاجتماع ينتهى دون أن ينطق مكتفيا بما يقول محمد سامى رئيس حزب الكرامة. وذات يوم وبعد أن تشكلت لجنة الخمسين لإعداد الدستور (والتى أدت بالطبع إلى غياب عمرو موسي) وطبعا بعد ازاحة حكم الإخوان وأصبح حمدين قادرا على التنفس حضر حمدين مبكرا وجلس كالمعتاد فى

صدر المجلس وطلب الكلمة (وكنت رئيس الاجتماع) ثم طرح فكرته وتتلخص فى أن جبهة الانقاذ تضم ١٥ عضوا من بين الخمسين الذين يشكلون لجنة الدستور، وتحدث عن أهمية التنسيق بينهم (وهذا اقتراح جيد) ثم فجأة قال "وعليهم أن يتمسكوا بتمرير المادة فى دستور مرسى والتى دسها حزب النور والمتعلقة بكيفية تفسير الشريعة وكيفية إعمالها عند وضع القوانين" وقاطعته معترضا وقائلا "هذه المادة بالذات هى اسوأ مادة فى اسوأ دستور اسقطه الشعب مع اسقاط حكم الاخوان" فقال محاولا ترويعى "أصل فيه ناس هنا بتهاجم الإخوان دوما إلى درجة أن الناس فى الشارع بتتصور أننا فى الجبهة ككل ضد الاسلام" فأجبته اجابة صادمة وقاسية لكنه استمر قائلا ما افزع الحاضرين وإن كان قد اسال لعاب البعض "نحن لا نريد أن نتصادم مع حزب النور صاحب هذه المادة فقد نحتاج للتحالف معه فى الانتخابات القادمة" وهنا انفجرت منى ذوالفقار معترضه بصوت حاد وغاضب، فحاول حمدين اخافتها بما يوحى انها لا علاقة لها بالواقع وقال " احنا بنتكلم عن "رأى الناس فى الشارع" فثارت منى وهى اكثر غضبا "شارع ايه يا شوارعي" وانفتح بركان الرفض وتحدثت أنا عن تحالفاته مع الإخوان وحضوره اجتماع "فيرمونت" مع الإخوان ثم حضوره المؤتمر الصحفى لمرشد الإخوان ومرسى أمام مقر الإخوان بالمقطم ومرشحيه فى قوائم "الإسلام هو الحل" وتحالف نوابه الدائم مع الإخوان فى برلمانهم" وصمت حمدين وتسلل بعدها من

الاجتماع وخيل إلى أن حمدين قد اكتفى بتسجيل هذا الموقف لعله يستفيد منه فيما بعد.

والمثير للدهشة أن حمدين وجماعته يمتلكون قدرا كبيرا وربما غير مفهوم من تحدى المصلحة العامة والرأى العام والتصور أن الشعب بلا ذاكرة ..فرغم كل ما كان من اخطاء وخطايا اعلنت صحف ١٢ يوليو ٢٠١٦ سفر حمدين إلى بيروت لحضور مؤتمر للتضامن مع حزب الله (الإرهابي). وتجلى ذلك ايضا فى مواقف سابقة لكثيرين منهم وعلى سبيل المثال كمال ابو عيطة الذى غرق حتى اذنيه - ربما بايعاز من حمدين- فى التحالف مع الجماعة الارهابية وترشح على قائمتها الانتخابية التى حملته مجللا بالعار إلى البرلمان الاخوانى ليمارس التحالف المكشوف معهم.. ومع ذلك امتلك شجاعة أن يستخدم حفل تأبين المناضلة التجمعية شاهنده ليهاجم التجمع ناسيا أن التجمع كان الذى واجه مرسى وحكمه وحكومته فى اصعب فترات الصراع السياسى والتى مثلت لحظات فارقة فى تاريخ الوطن تحسب فيها المواقف ويحاسب اطرافها كل وفق موقفه بينما كان هو منغمسا فى التحالف مع اطراف البرلمان الإخواني.

والحقيقة أن اخرين من اطراف الجبهة كانوا قد ارتكبوا ذات الخطيئة لكنهم لم يمتلكوا ذات القدرة على تجاسر مماثل. وهكذا فحتى الخطيئة أنواع بعضها يتخفى وبعضها يتبجح. ولكى لا يتصور أحد أننى اختص حمدين ورجاله، فإننى اسجل على د. سيد

البدوى انه ايضا مد يده للاخوان.. وحتى بعد الاتفاق بحضور المشير (وبعد ٣٢ اجتماعا استمر كل منها عديدا من الساعات) على تشكيل لجنة تختار لجنة متوازنة لوضع الدستور. واتفق على ٥٠٪ ليبراليين و ٥٠٪ اسلاميين وقد اعلنت من البداية عدم ثقتى فى تنفيد ذلك ورفضت حضور المؤتمر الصحفي.. تحالف د. سيد البدوى مع حزب النور ليعمل على احداث خلل فى النسبة فاعتبر (بناء على طلبهم) أن حزب الوسط حزب ليبرالى فاختلت النسبة لتصبح ٤٩٪ مقابل ٥١٪ ورفضنا وانسحبنا وبالنسبة المختلة وضع دستور مختل وغير مقبول ويمكن أن احسب لسيد البدوى انه انسحب سريعا من هذه المناورة ونفذ بجلده وجلد حزب الوفد من وهذه تحالف مرير المذاق مع حزب النور الذى لا يؤمن جانبه بينما تورط فى الأمر وإلى نهايته الحزب الديمقراطى الاجتماعى ليتقبل منحه مسمومه تتمثل فى رئاسة إحدى لجان مجلس الشورى كانت ثمنا لتحالف استمر إلى أمد مع حزب النور.

وهكذا يمكننى آن اقول وباطمئنان أن جبهة الانقاذ لم تكن مجرد أداة لانقاذ مصر من حكم الجماعة الارهابية وأداة لحشد جماهيرى معنوى ومادى ضد حكمها وانما كانت ايضا بالنسبة للبعض حماما يتوضأون فيه من خطايا تحالفاتهم مختلفة الدرجات مع الجماعة الإرهابية لكن هذا الحمام لم يمنع من أن تكون جبهة الانقاذ عاملا فاعلا وذكيا ضمن عوامل أخرى فى انقاذ مصر.

لكن الحديث عن جبهة الانقاذ لم يزل يحتاج إلى وقفة تستحق التأمل.

فجبهة الانقاذ استمرت فى الاداء الفاعل حتى بعد تولى المجلس العسكرى السلطة وتشكيل لجنة الخمسين لوضع الدستور وفض اعتصام رابعة ومواجهة تداعياته الارهابية. وطبعا ذهب البرداعى إلى القصر الرئاسى ثم غادره وغادر مصر. وذهب عمرو موسى رئيسا للجنة الدستور ولم يعد حضوره لاجتماعات الجبهة ممكنا وتباعد حضور أحد اقطاب الجبهة هو د. عبد الجليل مصطفى حتى انقطع. فلم يتواصل حضوره ولم ينقطع نهائيا وظلت لجبهة الانقاذ اربعة اعمدة التجمع - الوفد - المصريين الاحرار - الديمقراطى الاجتماعى وتعززت الاجتماعات باتفاقنا على فتح اجتماعات الجبهة لشباب يمثلون هذه القوى اساسا وقليلين من خارجها.. وبالتدريج تزايد حضور الشباب ولوحظت لقاءات منفصلة تجمعهم وحدهم وارتفع صوتهم فى الاجتماعات ولم يجد أحد منا أية رغبة فى كبت مواقفهم وانفعالاتهم.. وتواصل ذلك مع عدة اجتماعات حضرها د. أحمد البرعى الذى اصبح وزيرا ثم نائبا لرئيس الوزراء فى حكومة د. حازم الببلاوى الذى كان شكليا محسوبا على الحزب الديمقراطى الاجتماعى وإن كنت اشك أنه قد ظل كذلك لا هو ولا الدكتور البرعي. وفجأة وفى اجتماع للجبهة حضر الدكتور البرعى مبكرا وكذلك مجموعة الشباب التى لوحظ تزايد عددها (فقد اصبح الحضور غير محدد) وتحدث واحد منهم كان ينتسب (ولو

شكليا) للمصريين الاحرار ليعلن "قرارا" من الشباب بأنهم اختاروا الدكتور احمد البرعى منسقا عاما لجبهة الانقاذ. فوجئ الجميع ولكننى لم افاجأ فقد علمت به تفصيلا قبل بداية الاجتماع بخمس دقائق من ممثل التجمع فى مجموعة الشباب الذى قال انه فوجئ بأن الشباب ذهبوا دون أن يبلغوه إلى مقر وزارة الشئون حيث اجتمعوا مع د. البرعى (وسط مزاعم بأنه اغراهم بوظائف ذات مرتبات عالية) ولأن سيد البدوى واحمد سعيد حضرا ونحن على حافة بدء الاجتماع فقد تهيأ الجميع للبدء وكنت أراوغ انتظارا لحضورهما وفور حضورهما اعلن البرعى وسط دهشة الجميع بدء الاجتماع وامتطى الكلمة دون استئذان ممثل شباب المصريين الاحرار (ولم يكن ممثلا رسميا فقد كان هناك ممثل آخر اصبح فيما بعد وحتى الآن المتحدث الرسمى للحزب) ليعلن هذا القرار وسط دهشة الجميع، ولاحظت حيرة البدوى واحمد سعيد ولاحظت معها أنهما يشعران بحرج خاصة وأن البرعى أبدى موافقة مصحوبة بحماس شديد. مررت ورقة إلى احمد سعيد وكان بيننا البرعى الذى تصدر المائدة مبكرا وقبل حضور الجميع وقلت فيها "لك ولسيد البدوى هذا غير ممكن، فكيف سنواجه الناس بجبهة يرأسها احد اركان الحكومة، وكان ردهما انهما فى شدة الحرج يرون القبول ضارا بوضعية الجبهة ويرون ان البرعى مصمم ولا يريدون التصادم معه واعطيانى الحق فى أن اتحدث كما أشاء رافضا، وبدأت بأن هاجمت الشباب وقلت أننا احضرناهم للاجتماعات لنمنحهم فرصة التعرف على الاوضاع

العامة ولتعلم اسلوب العمل القيادي، وأنهم تجاوزوا حدود ما هو مسموح به لهم، فليس لهم عقد اجتماعات منفصلة، وليس لهم الحق فى اصدار قرار باختيار قيادة الجبهة ثم وجهت حديثى إلى الدكتور البرعى فى ظل صمت مرتبك من الشباب ووجه ممتقع من الدكتور البرعى الذى كان ولم يزل صديقا عزيزا وشخصية محترمة، وسألته "يا دكتور ألا ترى أى تناقض بين وضعك فى الحكومة وتوليك موقع المنسق العام للجبهة" فأجاب بكلمة لم أزل اذكرها "مفيش مشكلة" وسألته "وماذا لو اتخذت الجبهة قرارا بنقد الحكومة أو رافض لتصرف من تصرفاتها؟" وأجاب "مفيش مشكلة".

وخشية من أن تظل "مفيش مشكلة" محلقة فى سماء الاجتماع قلت فى حدة أنا اعتقد أن الأمر غير مقبول وغير ممكن واقترح الانتقال إلى جدول الاعمال. وصمت الجميع، البعض راضيا والبعض مندهشا والبعض مرغما.. وانتقلنا لجدول الاعمال.

وقبل أن اغادر ساحة جبهة الانقاذ أود أشير إلى أنها كانت فى المجمل فعلا صائبا ومفيدا جدا وكانت منذ بداياتها مصدر إلهام للجماهير التى كانت مترددة وغير مصدقة ان بالإمكان ازاحة كابوس مكتب الارشاد. وكانت بذاتها وببياناتها اداة تحريك لجماهير واسعة، ودعمت فوق ذلك فكرة وامكانية توحيد القوى الوطنية والديمقراطية بتموجاتها المختلفة فى ساحة نضالية واحدة، وكانت بالنسبة لى جهدا مهما ومصدرا لتعلم كيف تتماوج المواقف السياسية لتماوجات التركيب الاجتماعى والسياسي، وكانت

مصدرا ايضا لتكوين صداقات ومودة مع عديد الاشخاص مثل أحمد سعيد - منى ذوالفقار - اسامة الغزالى حزب- سامح عاشور - عصام شيحا- ود. ابو الغار وعديد غيرهم لم تزل مودتهم باقية وملهمة.

مسألتان لا يمكن تجاهلهما

وقبل أن انتقل إلى مرحلة تولى المجلس العسكرى للسلطة المؤقتة تحلق مسألتان فى خاطرى وتلحان بل وتتزاحمان فلأسترح من نقلهما.

المسألة الأولى كانت فى يوم الاحتفال الاخير بعيد الشرطة فى عهد مبارك والذى تعمد أن يأتى قبل موعده بعدة أيام كى يتباعد عن موعد الدعوة للاحتشاد وفيما نخرج كان عمر سليمان واقفا وحوله كالمعتاد عدد من المتحدثين أو المتقربين وأحيانا المنافقين أو ذوى الحاجات. وفيما يتخلص منهم ليسرع خارجا كنت امامه صافحنى قائلا "رأيك ايه؟" فقلت "مش مرتاح لما يجري" فقال "حأكلمك النهاردة" ولكن وبعد أن ركبت سيارتى التى كانت تأتى كالعادة متأخرة وبعد انصراف المهمين. تلقيت مكالمة من ضابط مخابرات (هو الذى ظل يعمل فى سكرتاريته حتى رحل) وقال

"معالى الوزير عايزك تكتب رأيك واقتراحاتك بأقصى سرعة" فقلت "يعنى بكرة الصبح مثلا" فقال"لأ بعد نصف ساعة على الأكثر" وقلت "مش معقول" فقال اجابة غريبة "اللى مش معقول هو أننا نتأخر" ووصلت إلى البيت لاجد شخصا غريبا يقف مع الحرس الخاص بالمنزل وسألت "مين ده ؟" فرد هو "أنا يا افندم من المخابرات العامة ومنتظر رسالة من حضرتك تبعتها لمعالى الوزير" وصعدت وطلبت من ليلى إلا ترد على أية تليفونات، وإذ جلست لاكتب، بدأت ليلى فى عتاب مفترض ..مش تقلع هدومك الأول؟ وعشرات من "مش" هذه وقلت لها القصة فأغلقت الباب والتليفونات حتى انتهيت وسلمت المظروف المغلق لمندوب المخابرات.. فماذا كتبت؟ من الصعب أن أتذكر العبارات فقد كنت اكتب بسرعة مرتبكة محاولا أن اوضح افكارا غير واضحة وان استدعى حذر الكتابة ومحاذرة الخطأ، وايضا محاذرة استدعاء رفض الرئيس المسبق لاقتراحاتى فكنت متعجلا فى حرص شديد.. وقلت ما معناه "الأمور اسوأ مما يصوره المسئولون للرئيس. والغضب موجود ومشروع ويجب التعامل معه بحرص وذكاء. وقلت أن الناس بدأت تشعر بخطر "شلة" تحاصر اتخاذ القرار (هذه الجملة اتذكرها) لأنها كانت اهم ما علق عليه عمر سليمان فيما فقال لى "حلوة قوى تحاصر اتخاذ القرار" واقترحت أن يعيد الرئيس تشكيل لجنة السياسات ويأتى بأشخاص من غير ذوى المصالح وأن يقوم بذلك بنفسه، ثم جازفت واقترحت أن يعلن الرئيس أنه لن يترشح لولاية رئاسة

جديدة كما أنه لن يترك الأمر لاختيار المكتب السياسى للحزب. وأنه سيفتح باب الترشيح على مصراعية (وأيضا لاحظ عمر سليمان على مصراعيه) وتجرى انتخابات رئاسية شفافة تماما. واقترحت أن يعلن الرئيس بنفسه قبل يوم ٢٥ يناير اى غدا هذه المقترحات مصحوبة ببعض الاصلاحات" وبقرار بتعديل وزارى جذرى وتعيين مسئول محترم من الجماهير كرئيس للهيئة البرلمانية للحزب الوطني. وبعد ما كان فى ٢٥ يناير ومع أول لقاء مع السيد عمر سليمان قال انه سلم الرسالة إلى الرئيس "وانه دهش دهشة ممزوجة ببعض الغضب وبعض التفكير" ولم يعلق عليها ولم يعدها إلى عمر سليمان وانما وضعها فى المظروف وتركها على المكتب.

ولست ادرى حتى الآن هل كانت هذه الملاحظات أو المقترحات مفيدة أم لا، فقد سكبتها تحت ضغط الالحاح المتعجل.. وربما تحت ضغط مشاعر مضغوطه هى ايضا.

***

أما المسألة الثانية فهى كاشفة ومثيرة للدهشة .. ففى الوقت الذى كان مرسى ينزلق من مقعد الرئاسة بسبب سوء الاداء وسوء التدبير الاخواني، وفيما كان بعض قادة جبهة الإنقاذ الذين تحدثت عن طموحاتهم المتصارعة ينظرون إلى مرآة ما يجرى متطلعين (فى بعض الاحيان) نحو امريكا ويتأملون حبكة الكرافات التى كان يتم التقاطها فى هذه الايام بعناية وحرص، كان الامريكيون يفتشون عن بديل محتمل آخر لمرسى (وهو ما سبق أن أشرت إليه). وكان

اختيارهم لشخص سلفى هو ومن داخل قصر الاتحادية هو د. عماد عبد الغفور مساعد الرئيس لشئون التواصل المجتمعي، وبدأت عملية هندمة صاحب اللحية وتسلمه استاذ لعلم البروتوكول فى الجامعة الامريكية ورغم السرية التامة فقد تسلل الخبر نحوى عبر استاذ مصرى فى الجامعة الأمريكية، وأكد أن الخبر مؤكد وانه تلقاه من القائم بالتدريب نفسه، وقال أن الامريكيين كانوا فى عجلة من امرهم وأن اللحية جرى تهذيبها لتصبح خفيفة ومودرن والبدل اصبحت فى غاية الشياكة وترافقت معها كرافاتات لم يكن السلفيون يأبهون بها أو يحتملون حبكتها. قال صديقى أن التدريب يمتد إلى اسلوب الحديث والتعاملات الرئاسية واتيكيت تناول الطعام. وأصبحت بعد هذه المعلومات اتابع فى شغف البعض ممن كانوا قادة فى جبهة الانقاذ وطموحاتهم الطموحة وصراعاتهم ومناقشاتهم.. واتابع ما ينقله صديقى باستمرار حول عملية تغيير جلد سلفى ليصبح "رئيس مودرن" وتملؤنى مخاوف احاذر من البوح بها وأواصل فى نفس الوقت باصرار المعركة ضد مرسى وأن كنت قد استفدت من هذه المعلومات السرية لاضيف إلى ما نرفعه من شعارات ضد حكم مكتب الارشاد .. شعارات اخرى ضد التأسلم وضد التيارات السلفية.. وضد أمريكا.

ثم المجلس العسكرى

وبعد رحيل مبارك إلى شرم الشيخ بيوم أو يومين تلقيت مكالمة لمقابلة مجموعة من اعضاء المجلس العسكري. فجأة تخيلت أننى سوف التقى على الهامش بالصديق الغامض الذى طاردنى فى نادى الجزيرة، لكننى لم أجد له أثرا وحتى الآن، وكلما ذهبت إلى النادى اتطلع هنا وهناك لعلى ألمحه لكنه كما يقولون "فص ملح وداب"وفى هذا اللقاء الأول شاهدت للمرة الأولى خمسة من اعضاء المجلس. الاستقبال حافل وودود والحاضرون كلهم لواءات العصار- محمود حجازي- عتمان- ممدوح شاهين - عبد الفتاح السيسي، كل منهم قدم نفسه واعطانى بطاقته بعد أن دون عليها رقم تليفونه ما عدا اللواء السيسى فقد قدم مبتسما بطاقة ذات لون مميز (بيج غامق قريب من المذهب) وقرأت "لواء أ.ح عبد

الفتاح سعيد السيسى مدير المخابرات الحربية والاستطلاع. ولا عنوان ولا ارقام لتليفونات.

وابتداء فإننى استأذن القارئ فى أن ثمة معلومات أو ملاحظات لن اسمح لها بأن تتسرب من مخزون ذكرياتى فأنا احس أن ثمة معلومات أو بالدقة معلومتين لا يجوز تسريبهما وأنا اعتدت أن احافظ على ما يتم إئتمانى عليه. وأعود لأواصل.

قلت فى البداية انتم لا تعرفونني. فقالوا طبعا نعرفك. وزاد اللواء العصار فقال منذ أن كنت فى الاعدادية كنت اقرأ كتاباتك فى الطليعة، ودهشت فكيف لفتى فى الاعدادية أن يتابع مجلة الطليعة (لكنه ثبت لى بعدها انه قارئ متسع مجالات القراءة والمعرفة) المهم قلت لهم أود أن اقول لكم من البداية اننى سأتحدث بصراحة وأننى لن اجامل وأننى لا أريد شيئاً من حاكم ولم أنل من أى حاكم ولا حتى قليلا مما استحق ولم اكن لأقبل غير ذلك. فقال أحدهم نعرف ذلك.

وقلت اذن إسمحوا لى بأن أوجه لكم لوما فأنتم تقلدون عبد الناصر عندما وصل إلى السلطة مع الضباط الاحرار واسمحوا لى أن اقول No Creativety (لا قدرة على الخلق) عبد الناصر عندما أتى تحالف مع الإخوان واتخذهم ظهيرا ثم اختلفوا لأن الإخوان فى كل خلافاتهم مع الآخرين ينفذون خطة ثابتة وضعها لهم حسن البنا وهى "لعبة المصالح المشتركة مع الطاغوت" والطاغوت عندهم هو انتم وأنا وكل من لم يبايع على السمع والطاعة فى المنشط والمكره"

"ازاي؟ قالها أحدهم وأجبت عبد الناصر عندما تحالف مع الإخوان أتى بنائب رئيس مجلس الدولة المستشار سليمان حافظ . وهو قريب من الإخوان وكلفه باعداد قوانين (ثورية) .. وعندما تصادم مع الإخوان كان سليمان حافظ أول من عارض وهاجم وكتب بيانات ضد مجلس قيادة الثورة. وانتم فعلتم نفس الشيء ايضا نائب رئيس مجلس الدولة المستشار طارق البشرى وايضا يميل نحو الإخوان وايضا كلف باعداد بيان دستورى وايضا ستختلفون مع الإخوان وسيكون أول من يهاجمكم المستشار البشرى ثم اتيتم معه بالاستاذ صبحى صالح المحامى وفى مصر ٥٠٠ الف محام فهل هى مصادفة أن تختاروا من بينهم واحد هو بالمصادفة عضو مكتب ارشاد الجماعة؟

وقلت أن ذلك يوضح اتجاها غير محمود ويذكرنى بقول الشاعر:

إذا جئت فأبعث طرف عينك نحونا .. لكى يعرفوا أن الهوى حيث تنظر

وتبدى قدر من التململ ومع ذلك استمرت الابتسامات الهادئة وعندما وجهت سؤالا إلى اللواء محمود حجازى متخيلا أن الحوار مفتوح للجميع أجابنى انه اللواء الأقدم وأن العسكريين عندما يتناقشون مع مدنيين فإن الاقدم فى الرتبة لا يبدأ بالحديث حتى لا يلتزم الآخرون بما يقول ولهذا سنبدأ بالأحدث فى الاقدمية.. وهو اللواء عبدالفتاح السيسي.

وتحدث اللواء السيسى بكفاءة وهدوء وبكلمات مدببة ودقيقة

التصويب ولست اريد أن اتحدث طويلا حول ما قال حتى لا يتصور البعض أننى امتدح من أصبح رئيسا. لكننى سأشير سريعا إلى بعض مما قال. سألته "الستم جيشا منظما ومنضبطا؟ فقال "جدا". قلت فهل انتم اصحاب ما كتب على احد الدبابات "يسقط مبارك" بينما كان مبارك لم يتنحى بعد؟ فقال نعم، وهى رسالة له ولميدان التحرير وللأمريكان والجميع. ثم سألنى "هل تفهم فى الاسلحة؟" قلت لا أعرف أى شيء ولم امسك بسلاحا ولا حتى "نبلة" فقال كانت الدبابات المتواجدة أمام بيت مبارك يوم مغادرته إلى شرم الشيخ مصوبة مدفعيتها نحو بيته فى إشارة رمزية لا تخفى عليه ولا على أحد. ثم سألنى مرة أخرى "ما رأيك ..كيف نتصرف مع مبارك مع ملاحظة أننا نحترم وضعه كأحد قادة الجيش ودوره فى حرب اكتوبر؟ قلت "اقترح أن يغادر من شرم إلى السعودية" فتخلى لأول مرة عن هدوء الكلمات المتأنية وقال "مش راضي. وبيقول أنا لم ارتكب أى خطأ ولن أترك مصر" (وهنا أستأذن فى أن أسأل نفسى وأسأل القارئ كيف تشبث مبارك بالبقاء فى عناد يوحى بأن الذمة المالية نظيفة تماما وانعدام مسئوليته السياسية، أم كان العناد غطاء لما يعرفه مبارك ويتصور أنه لن يكتشف؟).

المهم أن السيسى مضى قائلا "سيادة المشير اتصل بملك السعودية ورجاه استقبال مبارك استقبالا لائقا لكن مبارك عاند ورفض المغادرة.

وقال السيسى أن قيادة الجيش موحدة تماما وقد عقدنا اجتماعا للمجلس الاعلى للقوات المسلحة برئاسة المشير دون دعوة مبارك،

ودون ابلاغه لكن مبارك علم بالاجتماع وتوجه إلى الوزارة وعلمنا انه قادم فإنفض الاجتماع قبل أن يحضر. هو حضر ولم يفتح الموضوع والمشير استقبله ولم يفتح الموضوع" وعندما انتهى السيسى من ايضاحاته واستعراضه لرؤية قيادة الجيش ورؤيتهم لمستقبل البلاد حتى قبل ٢٥ يناير لم يكن هناك مجال لمزيد من قول فالشرح كان وافيا والفجر كان قد اقترب. وفيما اغادر قال اللواء عتمان هل يمكن أن ترسل لى بعض كتبك عن الإخوان ثم تلى ذلك مطالبة الجميع ماعدا السيسى الذى لاحظت أن بطاقته ليس عليها أى عنوان أو تليفون وذهبت الكتب للاخرين. وفى لقاء آخر سألت اللواء عتمان "قريت فى الكتب؟" فأجاب بصراحة مريحة "لم أجد وقتا"، وأضاف اسأل العصار هو اللى بيقرأ. وأنا اشهد أن اللواء العصار اثبت لى فى كثير من الاحيان سعة اطلاعه وتفهمه لدخائل الصراعات الفكرية فى المجتمع المصري.

ويبقى أن اللواء العصار اتصل بى ظهر اليوم التالى للمقابلة ليبلغنى بهدوء ولطف "أن الاخوة لم يشعروا بإرتياح لحدة ملاحظاتك. واكتفى واكتفيت. ولا اخفى أننى كنت مرتاحا لحدة وصراحة ما قلت. فقد احسست التى اديت واجبا كان واجب الأداء.

وكان هذا اللقاء مجرد مقدمة للقاءات أخرى.

مع الفريق

وكان لقائى الثانى مع الفريق سامى عنان، ويختلف سامى عنان عن غيره من قيادات المجلس العسكرى بأنه يرتدى احيانا - إذا ما أراد- ملامح واساليب ابناء البلد، فيتباسط ويتوجه إلى مثلا "أهلا يا بلديات، اخبار المنصورة ايه. شفت بيتنا فى المنصورة جرى له ايه. اتهد وبنوا عمارة مكانه" ثم وفجأة وكأنه يتذكر انه فريق يعود عسكرى الملامح وعسكرى التشدد. وثمة صفة أخرى اعتقد أنا شخصيا- وقد أكون مخطئا- انه يختلف حولها مع بقية المجلس العسكرى وهى انه كان اقرب للتفاهم مع الاخوان، (وربما كان مكلفا بذلك).

وعلى اية حال كان الاجتماع مع الفريق يضم تكوينه من بعض احزاب جبهة الانقاذ واحزاب صغيرة قديمة وحديثه ولم يكن به أى

اخواني. ومن البداية شعرت أن هذا اجتماع استطلاعى ليتحسس به المجلس اتجاهات الريح. تلفت حولى ولم اشعر بالارتياح.

والهدف المعلن هو مناقشة موضوع "هل الدستور أولا أم الانتخابات اولا" وكنا فى جبهة الانقاذ قد اتفقنا على الدستور اولا حتى يمكن أن نضع الأسس التى ستجرى حولها الانتخابات سواء الرئاسية أو البرلمانية.

وعندما فتح باب النقاش ازداد عدم ارتياحى فقد فتح رئيس احد الاحزاب الصغيرة جدا فمه ربما فى محاولة لتملق الفريق.. وقال كلاما مجاملا ثم افلتت منه كلمة "الرئيس المخلوع" هنا انتفض الفريق وبصوت عال ومتعالى "مخلوع ايه يا استاذ؟ الرئيس تنحى بقرار منه ولازم تفهم كده كويس. حاول المسكين أن يتراجع فقال "اقصد.." وصدمه الفريق قبل أن ينطق بماذا يقصد وقال"اسكت" فحاول الرجل أن يتأسف فجاءه أمر حاسم "لما أقول اسكت يبقى تسكت" وصمت الرجل مهانا. لم تعجبنى الجلسة وفكرت فى أن انسحب لكن استدعانى للبقاء أن طلب ممثل حزب الكرامة الكلمة وكان الاستاذ أمين اسكندر (ومعلوم للكافة انه كان ضمن خمسة تفاوض بهم ولهم حمدين الصباحى ليترشحوا على قائمة "الإسلام هو الحل" (وإذا كان من الصعب تقبل مثل هذه الصفقة التى منحتهم مقاعد ذليلة فى برلمان تسيده الإخوان واتخذهم فيه رهائن ليزعم بهم ان الإخوان يتقبلون الآخر، بينما الغريب والمريب هو أن هذا الآخر يتقبل الوجود الذليل فى القيود الاخوانية. أقول إذا كان من الصعب تقبل قبول

امثال كمال ابو عيطه وغيره لهذه الصفقة المذلة فإن الاصعب هو تصور أن يكون المسيحى أمين اسكندر نائبا تحت راية الإسلام هو الحل (لكن رجال حمدين يستمتعون مثله بجسارة تناسى ما لا يمكن نسيانه فيتبدون قادرين رغم كل ما يخجل قادرين على الحديث بصوت عال) . المهم أن الفريق كان فيما يبدو يعرف المتحدث جيدا فسمح له بالكلمة وإذا به يبدأ وبصوت عال فى خطبة ناصرية تتلاحق فيها المفردات الناصرية والإلحاح الناصرى لإحياء النزعة القومية وتبدت الخطبة وكأنها بلا نهاية وايضا بلا معنى لأنها بلا علاقة بموضوع الاجتماع وقرر الفريق إيقاف هذا الحفل الاستعراضى فأنهاه بدهاء استعراضى هو ايضا وفى لحظة درامية تشبه لحظات افلام الكوميديا كان الخطيب فى قمة الانسجام وفجأة قال الفريق هادئا وحاسما "دقيقة واحدة يا ابني" وما أن توقف الخطيب حتى اتجه الفريق نحوى وكنت أنا اكثر منه قربا من الخطبة ومن التجاسر بها ، وسألنى "يا دكتور انا افتكرت موضوع كنت عايز اسألك عنه ونسيت ، صحيح انت اتعذبت فى السجن ؟" ووسط دهشة الجميع جاء السؤال ووسط دهشتهم اجبت نعم ، وسأل ازاي ؟ . وازاى هذه مليئة بالمواجع الموجعة وقلت عدة جمل فقط بأمل أن نعود إلى موضوع الاجتماع . لكن الجمل القليلة كانت دشا باردا اطفأ جموح الخطيب ، وعندما عاد إليه الفريق متظاهرا بالأسى أو كان قد شعر بالأسى فعلا من قليل جدا مما كان فى السجن ، وقال بقرف "كمل يا ابني" لكن الكلمات جميعا افلتت من الخطيب واكتفي .

ونعود إلى الاجتماع بأمل أن نناقش لماذا الدستور أولا ، فإذا بنا نفاجأ أو بالدقة نصدم بالدكتور نور فرحات وهو يتطوع باقتراح قلب المائدة فوق رؤوسنا . قال د. نور هناك فى القواعد الدستورية ما يسمى بالنصوص ما فوق الدستورية وأنا ممكن اوافق على اجراء الانتخابات اولا بشرط وضع وثيقة فوق دستورية تحدد التوجهات العامة لحماية الديمقراطية وتضع أسس قيام الدولة المدنية.. وتلقف الفريق الماكر الاقتراح وتوجه على الفور للدكتور اسامة الغزالي.. يا دكتور اسامة جهز لنا مشروع هذه الوثيقة وكلمنى بكرة علشان ناخده وندرسه. وبهذا تبدى الاجتماع وقد اجهض نفسه بنفسه فلم يكن من المفترض ولا من المفيد أن اصطدم أنا بالدكتور نور وهو يمثل أحد اضلاع جبهة الانقاذ (الحزب الديمقراطى الاجتماعي) كما أن صمت الآخرين اسكتنى وقلت فى نفسى لنناقش الامر مجددا فى جبهة الانقاذ. لكن قطار الانتخابات أولا كان قد انطلق.

أما د. اسامة فقد حكى لى بعدها انه حاول عديدا من المرات أن يتصل بالفريق ليبلغه بمشروع الوثيقة ولم يرد عليه لا هو ولا مكتبه. وبما أن الاجتماع قد اصبح بلا مذاق اردت أن اضع عليه بعضا من الملح فسألت الفريق "ايه اخبار قانون دور العبادة الموحد؟ فأشار إلى المشروع الذى سربت نسخ منه فقلت وأنا اعرف صاحب المشروع (المستشار طارق البشري) أن الذى أعد هذا المشروع أعده بدهاء. وسأل الفريق "ازاى يعني؟" فقلت لقد صاغه بحيث يرفضه المسلمون ويرفضه المسيحيون فيبقى الحال على ما هو عليه ،

وابتسم الفريق وكأنه يوافقني. (وأنا اكتب هذه الكلمات مساء يوم ١٨ يوليو ٢٠١٦) ولم يزل الحال على ما هو عليه والقانون يتأرجح بتلاعبات ماكرة مرفوضا . والحال يتفاقم باحداث هى الاسوأ فى تاريخ المكون الدينى للمجتمع المصرى والكنيسة تنطق ربما للمرة الاولى برفض قاطع حاسم لما يجري، وقداسة البابا تواضروس يكتب فى الكرازة المرقسية "يعرضون علينا تورتة مليئة بشظايا زجاج فلا يمكن ابتلاعها" وأنا نشرت فى ذات اليوم فى جريدة الوطن الحلقة الاولى من سلسلة (٤ حلقات) عنوانها "دليل الحيارى فى أحوال ملة النصاري" فتحدث دويا يعبر عن واقع مفزع.

ويبقى أن اشير إلى أن الفريق عنان كان دائما يكرر سيادة المشير عايز يمشى . احنا عايزين نمشي، الحمل تقيل وكثيرين فى العالم يحذروننا لا دعم ولا مساندة طالما استمر حكم عسكرى وعلشان كده عايزين انتخابات بسرعة. وذات مرة انتحيت بالفريق وسألته كل شوية تقول عايزين نمشى فماذا لو حكموا و"زعطوكم" فابتسم قائلا "نقطع رقبتهم هو لعب عيال؟".

ثم لقاءات المشير

وأخيرا.. يبدو أن المشير طنطاوى قرر أن يتدخل فى الأمر بنفسه. فجمع رؤساء الاحزاب ذات التمثيل فى البرلمان الذى كان ليناقش معهم كيفية تشكيل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور الجديد. لكن اسماء أخرى اضيفت بما يوحى أن ثمة مشاورات سبقت الاجتماع. مثلا مصطفى بكرى ومحمد عبد المنعم الصاوى ورئيس حزب العدل واحزاب أخرى صغيرة ليست لها تمثيل فى أى برلمان أو وجود فى أى مجال.

وكان ترتيب طاولة الاجتماعات متقنا ومنحازا فى نفس الوقت. فالطاولة مستطيلة فى ضلعها الأطول فى منتصفه بالضبط المشير وعلى الجانبين الحضور من لواءات المجلس العسكري. والضلع المقابل فى منتصفه أى أمام المشير اجلسنى رجل البروتوكول باعتبارى

رئيس أقدم الاحزاب الموجودة. وعلى يسارى (وهنا يتجلى الانحياز محمد مرسى وإخوانى اخر) ثم إلى يساره د. مخيون (حزب النور) وكان الانحياز واضحا ومسكوتا عنه فالإخوان وحدهم لهم ممثلان والباقون ممثل واحد، والإخوان وحدهم يتبادلون الحضور (كانوا اربعة يحضر منهم اثنان وفق الترتيبات الإخوانية الغير مرئية د. مرسي. د. عصام العريان- ابراهيم حسين- ورابع يتغير) وبالنسبة للجميع لا يجوز أن يحضر أى بديل لرئيس أى من الاحزاب، ولكن بالنسبة للإخوان كان ذلك مسموحا به.

وقبل أن نبدأ السباحة فيما تقاذفنا من امواج فى حوارات لا تنتهى (واحد أو اتنين وثلاثين اجتماعا كل منها يستمر ما يزيد على ثماني ساعات تتخلله وقفات قصيرة شاى وقهوة.. وموائد من بسكويت وكيك وما اشبه) وكان نفس الإخوان فيها طويلا ويمطون فى الجلسات قدر امكانهم ربما للاطمئنان على الانتهاء من ترتيبات تخصهم كان بالإمكان تخمينها دونما حاجة للافصاح عنها، تقفز حكايات قصيرة وملاحظات اقصر لتسابق احداث الاجتماعات.

فى اللحظات الأولى للاجتماع الأول وقبل أن يدخل المشير مال رجل البروتوكول على اذنى هامسا "إذا حضرتك مش عايز تقعد جنب د. مرسى ممكن نغير الاماكن" فقلت بصوت مسموع من مرسى ومن غيره خليه جنبى علشان لما يلخبط ازغده بكوعى واسكته" إتخض مرسى وصاح "اعوذ بالله".

كانت أحاديث الإخوان مجموعة من المماطلات التى تحمل قدرا عاليا من التعالي. لكن فى الطرف البعيد من الطاولة كان هناك من يصوغ طلبات، أو طموحات، أو مزاعم الإخوان بصورة اكثر اتقانا. ويقدم الأوهام الاخوانية بصورة شيك.. هو الاستاذ محمد عبد المنعم الصاوي. وذات إحدى الاستراحات همس فى أذنى لواء من الحضور مشيرا برأسه نحو الصاوى "هو اخوانى بس ذكي، ولهذا هو كائن نادر".

وذات يوم وفيما يجلس المشير.. وفى لحظة الجلوس صاح د. مخيون "يا سيادة المشير أنا عايز أتكلم". التفت اليه المشير دون أن يرد ثم بعد أن جلس واستراح وتأمل الحضور كعادته واطلق تحية صباحية كعادته ايضا، نظر إلى الوجه المحتقن للدكتور مخيون وقال بهدوء "اتفضل" وهنا انفجر د. مخيون وهو يشير نحوى "يا سيادة المشير د. رفعت فى حوار تليفزيونى على الهواء هاجم أمس حزب النور وكانت التهمة أننا ذوى مرجعية اسلامية بينما هو يرأس حزبا مرجعيته شيوعية فهل هذا لائق؟" وبابتسامة مستريحة على وجه هادئ قال المشير "اتفضل" وجلس مخيون وهو ينتفض وأشار المشير نحوى "اتفضل".

فقلت "أولا أنا عايز اصحح حاجات.. أنا رئيس حزب التجمع وحزب التجمع مش شيوعى ولا ماركسى لكن علشان أغيظ الدكتور مخيون أنا مرجعيتى ماركسية، وأنا مقلتش حزب النور مرجعيته اسلامية ولكن قلت حزب النور مرجعيته متأسلمة

والتأسلم فى نظرى هو فهم مشوه وغير صحيح للإسلام، وعلى أية حال إذا قلت أنا مرجعيتى ماركسية ممكن مخيون يقول ببساطة فى ستين داهية انت وماركس بتاعك، ولكن إذا قال هو "أنا مرجعيتى اسلامية" هل استطيع أن أرد عليه بأى هجوم أو انتقاد؟ هو يتمسح بالإسلام لتكتسب افكاره وطموحاته وممارساته سمة غير صحيحة؟

ارتاحت الابتسامة على وجه المشير وسأل مخيون عندك رد؟ ولم يرد مخيون على السؤال.

وفى كثير من الاحيان كان مرسى يتبدى مرتبكا ولا يجد اجابات عن اسباب مراوغاتهم، وسعيهم فى استطالة أن الجلسات وكان ضغط من المشير، فطلب مرسى من المشير مهلة يومين للتشاور مع الاخوة. وبعد المهلة بدأت الجلسة وقال المشير "تفضلوا" وهكذا كان يسأل عمن يريد أن يدلى برأيه فقلت "د. مرسى طلب مهلة وأخذها فليحدثنا عن رأى الاخوة". لكن مرسى لم يكن لديه شيئا يقوله فتحدث وتحدث وتحدث لخمس وأربعين دقيقة دون أن يقول شيئا. وبملل شديد التفت المشير وقال لى "اتفضل رد" فقلت "مجلة الايكونومست اخترعت تعبيرا وصفت به اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوربى الذين يتحدثون ويتجادلون عديدا من الساعات دون أن يقولوا جديدا، والتعبير هو " التريدميل السياسي" (وجهاز التريدميل هو السير الذى تمشى عليه دون أن تتحرك من مكانك) والدكتور مرسى فعلها فينا وتكلم ٤٥ دقيقة دون أن يقول شيئا.

وقال المشير مبتسما يعنى "خطوة تنظيم". زى ما بنقول فى العسكرية، وحاول مرسى أن يتظاهر بالغضب ووقف موحيا أنه سينسحب، وشخط المشير "اقعد" فقعد.

والحقيقة أن المشير كان لا يجد فى الجالسين كثيرا ولا قليلا من الراغبين أو القادرين أو المتحمسين للرد على الوفد الاخواني، كثيرون كانوا يستشعرون اتجاه الريح. وأن مركب الإخوان تمتلئ قلوعها بهواء القادم فتسرع نحوه. ويخشون فى نفس الوقت من احتمال غضب المشير ورجاله.. ويكون الدواء هو الصمت. وكان الحوار يدور فى اغلبه بين مطولات اخوانية وردود من جانبى واثنين أو ثلاثة آخرين يتحمسون فينطقون ثم يتعقلون فيصمتون. وكان الاكثر مناكفة فى احيان كثيرة هو المستشار الفضالي. لكن المشير كان يقصد اعطائى الكلمة دوما حتى دون أن اطلب للرد على الإخوان وكنت اعرف انه يتعمد ذلك واتقبله، وقبله كان يفعلها رئيسين عاصرتهما فى مجلس الشورى الدكتور مصطفى كمال حلمى وصفوت الشريف فما أن يفتح باب أو حتى نافذة للحديث عن التأسلم السياسى حتى تأتينى الكلمة دون أن اطلبها فكثيرون لا يريدون، أو يتعاطفون أو يحاذرون والاكثر لا يعرفون. وكنت اتقبل ذلك كفرصة للتعبير عن رأى كان الكثيرون يترددون فى التعبير عنه فقد كان التيار الاخوانى متسلطا على عقول كثيرة.

وكان الأمر كذلك مع المشير. ولاحظ أحد اعضاء المجلس العسكرى ذلك، وخلال أحد الاجتماعات كان الحوار محصورا بينى

وبين الثلاثى مرسى ومخيون والصاوي، مع تداخلات هامشية بعضها يعبر عن مجرد رغبة فى أن يتبدى مشاركا وتكون الكلمات محاذرة وبلا مذاق.. وفيما الملل يخيم حمل لى أحد ضباط البرتوكول الواقفين دوما فى القاعة ودقة من أحد اللواءات الحاضرين مكتوب فيها "لماذا يصمت هؤلاء الناس؟" واجبت على ذات الورقة ببيت شعر:

مت بداء الصمت خير من كلام / انما العاقل من ألجم فاه بلجام

ابتسم ورأيت الورقة وهى تمضى من يد لأخري.

والمثير للدهشة أن المشير نفسه استخدم الشعر يوما، ربما للتعبير عن الملل، أو للتخفيف من حدة الملل.. وفى بداية إحدى الجلسات الأخيرة بدأ الجلسة قائلا:

إلام الخلف بينكموا إلاما / وهذى الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكموا لبعض / وتبدون العداوة والخصاما

ثم التفت إلى (ويبدو أن الورقة الخاصة بالصمت خير من كلام قد وصلت إليه") فقال اكمل يا دكتور..

فأكملت القصيدة

فأين الفوز لا مصر استقرت علي / حال ولا السودان داما

وتأمل المشير الجالسين وعيناه مسلطتان على الإخوان وإلى جوارهم مخيون وأعاد.. فأين الفوز لا مصر استقرت / على حال ولا السودان داما.

ثم بدأ الجلسة.

وفى نهاية كل اجتماع كانت الدعوة على الغذاء فى الاغلب تأتى بالقرب من موعد العشاء ولاحظ رجال البروتوكول الشديدى اليقظة أننى اتجه فى كل مرة مسرعا إلى الاسانسير لأغادر بينما يتجه الجميع إلى صالة الطعام.. و"الغداء يا افندم" واجبت أكثر من مرة بلهجة تعمدت أن تأتى فكاهية "مش عايز آكل معاكم عيش وملح"، وكالعادة انتقلت العبارة إلى المشير وهو فى الأغلب لا يقبل الهزار فانتظرنى عقب أحد الاجتماعات وامسك بي. "ليه مش عايز تاكل معانا عيش وملح؟" وقلت له الحقيقة "ليلى زوجتى مريضة واتركها وحيدة ولا أريد أن اغيب عنها من أجل وجبة" سألنى فى ألم "تحب اى مساعدة؟" وشكرته بحزم، لكنه قال تعالى ولو خمس دقائق، لقد سمعت انك لا تأكل لحما ولا فراخ فقط سمك.. وأتينا لك بما تحب وقادنى إلى المادة الرئيسية ليجلس عليها هو والفريق ومرسى وأنا، والمشير للدهشة أن مرسى كان قد سبق الجميع وبدأ يأكل وحده غير منتظر لأحد. ولأول مرة أرى انسانا يفترض أنه متحضر (ومتخرج من أمريكا) يأكل بيديه الاثنتين ويلحس اصابعه بعد تقشير الجمبرى بيديه.. جلست لخمس دقائق.. واستأذنت فأذن المشير وهمس فى أذنى "إذا احتجت حاجة احنا تحت أمرك" فقلت "مستورة والحمد لله".

وكانت الحوارات حول كيفية تشكيل الجمعية التأسيسية ونسبة كل طرف فيها. والإخوان يريدون وبتشدد شديد الاستحواذ على اغلبتيها ليضعوا دستورا يعبر عنهم ويحكموننا به وفيما كانت

الحوارات تجرى بأمل أن يزيح أى طرف طرفا آخر لينال مقعدا أو أكثر. وحيث تجلى الحلف المتأسلم واضحا وجليا الاخوان- النور- السلفيون مع استعدادات واضحة من افراد أو قوى صغيرة يتمنون بها أن يرتدوا ثياب التأسلم لينالوا بها مساحة من رضاء من الاخوان، لكن الإخوان كانوا فى ذلك الوقت بين أمرين أحدهما الايحاء بأنهم يريدون أن تتسع اللجنة التأسيسية لاكثر من تيار، والثانى هو الاصرار على التحكم المتحكم فى عملية إعداد الدستور وبين الأمرين كانت الصراعات المعلنة والاتصالات الخفية مع قوى كنا نعتبرها محسومة معنا فى صف التيار الليبرالى فإذا بها تتهامس سرا وأحيانا فى مباهاة مع الاخوان.. سواء فى لقاءات جماعية مفتوحة مثل لقاء فيرمونت أو مؤتمرات صحفية صاخبة أمام مقر مكتب ارشاد الجماعة بحضور المرشد ومرسى وقيادات اخوانية وبعض المتقربين والمتملقين والمتعجلين من سياسيين محدثين لا يتقنون حتى اسلوب التملق أو التآمر مع العدو المفترض.. كل ذلك القى بظلال كئيبة على المناقشات بقدر ما هى مجدبة وتبدت ايضا وكأنها بلا نهاية.

حتى كان يوم يبدو فيه أن الكيل قد فاض بالمشير والمجلس العسكرى فدخل الاجتماع وعلى وجهه غضب لا يخفيه ولعله أراد ألا يخفيه.. وقال هذا آخر اجتماع ولن يغادر أحد هذه القاعة إلا بعد أن نصل إلى اتفاق. ولست ادرى لماذا وجدت نفسى وقد فاض بى الكيل أنا ايضا، وقلت سيادة المشير هل هذا امر ضبط واحضار؟ فقال بلا ابتسامة "ليكن كذلك".

وهنا وجدت نفسي دون قرار مسبق اقول بصوت فيه رتوش من غضب "سيادة المشير هل هو فعلا أمر ضبط واحضار؟" فقال "افهموه زى ما انتو عايزين" فقلت اذن انا عندى كلمة لو سمحت فقال "اتفضل" وبدأت بسؤال تبدى غريبا" طبعا يا سيادة المشير وسيادة الفريق والسادة اللواءات أنتم جميعا درستم تاريخ المعارك العسكرية الشهيرة؟ وفيما تهتز رؤوس بالموافقة قلت فهل يتذكر أحد اسماء القادة الذين هزموا مع نابليون فى "ووترلو"؟ وأجبت على نفسي طبعا لأ". وقلت "هل يتذكر أحد اسماء القادة الذين اصطفوا مع احمد عرابى أمام قصر عابدين ليواجهوا الخديوى توفيق. وساد صمت فأجبت على نفسي، أنا اعرف بعضهم بحكم دراستى للتاريخ واعدادى لكتاب عن الثورة العرابية لكننى اتخيل ان لا احدا من الحاضرين يتذكر ولو اسم واحد منهم"، ومضيت قائلا "وهكذا نجد التاريخ لا يذكر ولا يتذكر سوى القائد.. مصطفى كامل - محمد فريد- سعد زغلول- عبد الناصر ثم وبدون سابق ترتيب وجدت صوتى يعلو وقبضتى تدق على المائدة بعنف ومعها هكذا يا سيادة المشير فإن التاريخ إذ يفتح صفحة هذه الايام لن يتذكر ولن يذكر إلا إسمك أنت. أن خيرا فخير وأن شرا فشر" وخيم صمت متوتر على رؤوس الجميع وخاصة اعضاء المجلس العسكرى الحاضرين. صمت المشير قليلا ثم وجهه كلامه إلى سقف الغرفة وقال حتى عندما كنا ملازمين اوائل كنا لا ننسى الاساءة التى توجه لنا"، أما أنا فكنت لم ازل متوترا على غير العادة فقد

احسست ان الامور تتجه وبسرعة نحو تسليم الإخوان مفاتيح اللجنة التأسيسية لوضع الدستور (فللمرة الاولى كانت هناك همسات تسبق الجلسة بين الفريق وبين ايمن نور الذى قضى طوال الجلسات السابقة صامتا فى ابتسامة تحاول أن تقول أنها واثقة. وكان مصطفى بكرى منزويا يكتب شيئا وكان يمثل الإخوان ثلاثة وليس اثنين، القادة الكبار اختفوا وحضر من الصف الثانى ابراهيم حسين، عصام العريان، اسامة يسن) وقلت أنا لم اكمل سيادة المشير.. فقال بامتعاض اتفضل كمل "وقلت لعلك والسادة اللواءات الجالسين هنا تعرفون إلى أين تقودون الأمور، ولكن لنفترض أن لواء آخر غيركم وفى طريقه إلى البيت يقرأ فى كل خطوة تسرع بها السيارة يسقط حكم العسكر" وشتائم ضدك يا سيادة المشير وبحثت عن مرسى لأزغده فلم اجده فزغدت ابراهيم حسين قائلا: وانت تعرف من يكتب ومن يدفع لمن يكتب؟ ومن يستفيد مما يكتب؟ ويعود اللواء إلى بيته لتسأله ابنته مين اللى بيكتب ضدكم؟ وساكتين عليهم ليه؟ انتوا خايفين منهم ولا ايه؟ فبماذا يجيبها؟ وانهيت كلمتى بهذا السؤال. وهنا صاح اسامة يسن دون أن يطلب الكلمة، يا سيادة المشير الدكتور رفعت بيسخنك ضدنا، ولحقه مخيون فعلا يا سيادة المشير بيسخنك ضدنا، ورد المشير غاضبا "انا محدش يقدر يسخنني، ولو كنت اتسخن كنتم شفتم وش تاني" وسرى تيار الكهرباء فى الجلسة "الإخوان يطلبون ٥١٪ من اعضاء الجمعية التأسيسية وقلت فى هذه

الحالة يكون التصويت بنسبة الثلثين. وصاح عصام العريان" البعض هنا يحاول تخويف الناس منا ويتصور أن كل من يقف معنا اخوان"، فقلت مقاطعا "أنا لا أنكر ذلك، وإذا صممتم على رأيكم فأنا من الآن اعلن انسحابى من اللجنة التأسيسية وسأغسل أيدى حزب التجمع من هذا الموضوع كله". فرد مصطفى بكرى مقاطعا "انسحاب د. رفعت يقلب موازين كثيرة، ولابد من التفاهم". فرد ابراهيم حسين "البعض يحاول أن يفرض ارادة الاقلية على المجموع" فقلت بصوت أعلى من صوته عندما يكون الوطن مهددا فلا مجال لخضوع الاقلية لمن سيدمرون المستقبل.. هاج الاجتماع وفقدت الضوابط الصارمة وصار الجميع يتكلمون فى نفس واحد فدق المشير بقبضة صارمة "ترفع الجلسة لنصف ساعة" والمصيبة اننى عندما خرجت لم أجد من يمكن أن اتشاور معه، كثيرون يرفضون الاقتراح الاخوانى ولكن لا ينطقون ففى عملية توزيع الجمعية التأسيسية يحتاجون ما يضمن لهم وجودا فى البرلمان عبر تحالف ولو غير معلن. وفيما أشرب الكابتشينو اقترب منى واحد من المجلس العسكرى كان الاقرب إلى قلبى ربما لأنه الاكثر وعيا ومعرفة وايضا تودد هو اللواء العصار وقال لا تخاف ولا تتوتر الشعب المصرى البسيط رغم أميته وبساطته سيتمسك بالدولة المدنية وهو لن يقبل بحكم الإخوان ومن تسميه انت التأسلم" كنت لم أزل اغلى وقلت بغلظة غير مفترضه إذن استعد انك تدخل قفص الاتهام أمام قضاة جماعة الإخوان. بهت الرجل من الجرأة والتجاوز وتركنى صائحا،

"أنا مبخافش" . وكان الفريق يتابع حوارنا من بعيد فسألنى حصل ايه؟ فأعدت له ما قلته فصاح فى وجهى "مش معقول تقول كلام زى ده لسيادة اللواء" .. وكان اللواء السيسى يتابع الأمر مبتسما وهو جالس على مقعده الذى لا يغادره ولا يغيره، وقرر تهدئتى بأن وعدنى أن يرسل لى دراسة عن الإخوان قدمها اللواء صبحى صدقى خلال دراسته الاكاديمية فى امريكا .. ولكن هذا الوعد الموضوع تاه فى خضم الاحداث المتسارعة.

ويبقى لزاما على قبل أن اتواصل بمشاعر وأحاسيس واحداث أن اعتذر للواء العصار فقد كانت توقعاته إزاء مواقف الجماهير الشعبية من الاجراءات والتوجهات الاخوانية والمتأسلمة عموما .. صائبة.

انتهى النصف ساعة وكان ايمن نور قد أعد اقتراحا شديد التعقيد بتشكيل اللجنة التأسيسية، وعصام العريان يقول بصوت عال لكى اسمعه "احنا تسعين مليون ومش هينفع أن كل الناس تمثل فى اللجنة التأسيسية. وكان مصطفى بكرى قد اعد مسودة بيان وعرضه بسرعة على الفريق.. وباختصار ودون ان استطيع أن امسك بخيط اتهام لأحد فإننى امتلأت بهواجس تأكدت سريعا ففى خلال فترة الاستراحة طبخ كل شيء وكان الاتفاق الهش يقول: اعضاء اللجنة مائة - خمسين للتيار الاسلامى وخمسين للتيار الليبرالي.. واعلن عصام العريان موافقته ويبدو كما همس لى البعض من الصامتين الدائمين انه خلال الاستراحة قد انتحى بالدكتور سيد البدوى ورتب معه امرا. ساد الارتياح بين الكثيرين

بينما غمرنى أنا احساس بالقلق، فقد تصاعدت مشاعر تغير ملموسة ولكنها غمرتنى ربما دون سبب مؤكد بأن ثمة طبخة تم انضاجها خلال هذه الاستراحة".

ومع التوتر تحدث الفريق متسائلا لماذا لا نثق فى بعضنا البعض ولماذا لا نعلو فوق المصالح؟

(أود هنا أن اشير أننى ومع بداية هذه المرحلة من اللقاء الاخير بدأت اسجل ما يشبه محضر اجتماع فقد احسست بأهمية الكلمات وحتى الهمسات) وهنا تحدثت أنا فقلت اطلب الكلمة للمرة الثانية. وقال المشير تقصد للمرة العاشرة، ولم التفت لهذه الوخزة وقلت "المسألة ليست مصالح شخصية ولا مقاعد برلمانية نحن مقبلون على وضع دستور، وفى الدستور نحن نطالب بدولة مدنية حديثة وهم يحاولون من الآن أن يفرضوا علينا ولاية المتغلب" وتحدث عصام العريان الذى حاول أن يؤكد للجميع أنه قد تسيد الموقف فقال "إذا كنا سنختار مائة فلا يمكن للمائة أن تمثل كل الناس، والدستور بعد صياغته سيعرض الاستفتاء وللشعب الكلمة العليا فى التصويت، وأنا اعتقد أن ازمة الثقة سوف تزول بمجرد أن تبدأ اللجنة التأسيسية مناقشاتها". ثم قال متوعدا "نحن أمام مسارين مسار يريد الانجاز ومسار يصر على التفتيش فى النوايا، ويستحيل أن نصمم على الاجماع التام ولكن على التوافق بين الاغلبية فنحن مثلا نوافق على ما طرحه د. سيد البدوى مادام الهدف منه هو انجاز الهدف الرئيسي.. (وهنا تأكدت لى همسة

الصامت الدائم) وواصل العريان، وهناك مثلا وثيقة الازهر وكذلك وثيقة التحالف الديمقراطي وكثيرون متفقون على الوثيقتين بشكل عام وحول طرح د.رفعت لاشتراط نسبة ٧٥٪ للتصويت فنحن نرى أنه تشكل اللجنة ثم تحدد اللجنة بنفسها اسلوب التصويت. وقال بشكل حاسم من يعطل يتحمل وحده مسئولية محاولة التعطيل.

وتحدث مصطفى بكرى فقال أن التصويت بأغلبية الثلثين يمثل ضمانة. ومن البداية احنا قلنا دستور ثم انتخابات رئاسة لكن خيرت الشاطر صمم الرئاسة ثم الدستور وأنا اشعر بشرخ كبير إذا انسحب رفعت السعيد.. وإذا غابت روح التوافق البلد حتقع. وأنا اطالب المجلس العسكرى أن يتدخل الآن لوضع المعايير الملزمة للجميع. وتحدث المستشار الفضالى قائلا "البعض يعود بنا إلى نقطة الصفر فهل من المعقول أن نسلم مصر لأغلبية مؤقتة ولهذا نحن لا يمكن أن نقبل التصويت إلا بنسبة الثلثين".

ثم تكلم ابراهيم حسين قائلا: احنا حريصين على انجاز الدستور امبارح مش النهاردة والبعض يحاول اغراقنا فى النوايا ويتهمنا بأننا اغلبية وكأن الاغلبية معره، والبعض يتصور أن كل من يقف مع الإخوان هو اخوان وليعرف الجميع أن اللجنة التأسيسية عندما تنعقد ستكون صاحبة لائحتها واسلوب التصويت فيها".

وتحدث السادات فقال التصويت بأغلبية الثلثين يريح الجميع وارجو ألا يتركنا المجلس العسكرى فى هذه الحيرة وأن يتدخل ليحسم الأمر.

وهنا تحدث المشير فقال "أنا عارف أنا أعمل ايه، وسأعمل ايه وأقول لكم جميعا وخاصة الأغلبية توصلوا لحلول ولا ترسلوا إلينا الكرة، أحنا مش خايفين إحنا مات مننا كتير فى الحرب ومستعدين نموت، وأنا لن اترك مصر إلا شهيد. نحن يا د. رفعت نريد أن نترك تاريخا ناصعا ولهذا ندعوكم للتوافق. توافقوا يا سادة. أنا بصراحة ممكن اصدر قرارا دلوقتى حالا لكن هذا سيكون قرار صعب. وأحنا عارفين احنا بنعمل ايه، ثم وجه كلامه ناحية الإخوان وقال اللى متصور أن له نفوذ فى الجيش واهم، واهم جدا. احنا موحدين ولا يؤخذ أى قرار إلا بموافقة العشرين واحد بالإجماع". (وأعود لأؤكد أن هذه النصوص قد سجلتها بالنص خلال الجلسة الأخيرة).

ثم تحدث مصطفى بكرى فقال لنضع معيارين ٥٠+١ للمواد المتفق عليها وثلثين للمواد المختلف عليها ثم تحدثت فقلت "المتفق عليه ٥٠+١ والمختلف عليه يطرح للاستفتاء ومادة مادة. وتدخل عصام العريان محتدا التصويت ٥٠+١ وفى حالة الخلاف ٦٠+١.

وفى النهاية كان الجميع مرهقون وتم الاتفاق أوليا ٥٠ (تيار إسلامي) ٥٠ تيار ليبرالى مدني، لكن الهمسات التى لاحظتها كانت تسيطر، وقول عصام العريان "نحن نوافق على ما طرحه د. سيد البدوى مادام يساعد على انجاز الدستور، دفعانى إلى مقاطعة المشير وهو يطرح اقتراح المناصفة للتصويت وقلت "سيادة المشير حضرتك مصدق أن الإخوان ستنفذ هذا الاتفاق؟ (وطبعا لم يكن ملائما أن احذر من اتفاق بين البدوى والإخوان دون أن امتلك دليلا)

فقال المشير وقد ضاق صدره "طبعا مصدق هو لعب عيال" وصاح عصام العريان "أنا سأخرج دلوقت لأعلن فى المؤتمر الصحفى أننا موافقين" وأجبته و"أنا خارج دلوقت ومش حأحضر المؤتمر الصحفى حتى لا يتصور أحد أننى موافق وحتى لا اعترض فيتصور البعض أننى افسدت الاتفاق. رغم تأكدى أن الاتفاق لن ينفذ".

وخرجت.

وقد كان فقد تسربت الينا اخبار عن لقاء حضره فى حزب الوفد حزب النور والإخوان وحزب الوسط واتفق المجتمعون على ما أكد هواجسى وهو اعتبار الوسط حزبا ليبراليا ومن ثم يدخل ضمن "كوته" القوى الليبرالية وبهذا تنخفض نسبة الليبراليين الحقيقيين ومعهم الذين يزعمون ذلك -على اختلاف انواعهم- إلى ٤٩ وتزيد نسبة المتأسلمين إلى ٥١ مع ملاحظة أن حزب الوفد سينضم طبعا إلى من اتفق معهم وكذلك حمدين الصباحى ورجاله فتصبح النسبة مختلة تماما.

ثم وجهت الدعوة إلى اعضاء المجلسين لاختيار الجمعية التأسيسية.. ووزعت فى اللحظة الأخيرة قائمة تضم قرابة الألف مرشح والمطلوب اختيار مائة دون زيادة ولا نقصان وهو أمر يشبه الاستحالة واكتشف الحاضرون أن ثمة قائمة توزع سرا بها المائة اسم. وهى قائمة مغلقة متفق عليها سرا (وهى تضم قوى المتأسلمين + الوفد+ حمدين ورجاله+ الديمقراطى الاجتماعي+ السادات كل بنسب مختلفة مع احتفاظ الإخوان بالاغلبية المطلقة).

وقبل التصويت وقف عاطف مغاورى عضو مجلس الشعب ليعلن باسم حزب التجمع الانسحاب من عملية التصويت ومن اللجنة التأسيسية اصلا. (فقط أود أن اضيف انه قبل التصويت بيوم اتصل بى احد قادة حزب الوفد وقال بصراحة نحن نعد قائمة مشتركة فهل نضع اسماء منكم وقلت لا).

وهكذا بدأ الإخوان ليس فقط رحلة وضع دستور اخوانى وإنما ايضا رحلة كشف الغطاء عن حلفائهم.

* * *

وأقفز سريعا إلى مرحلة حكم مكتب الارشاد.

ومع بداية هذه المرحلة . حلق فى خاطرى سؤال كطائر مخيف هل اواصل الكتابة ضد الإخوان بذات الحماس؟ أم اتستر ولو قليلا؟ أو أصعد بالمعارضة إلى اقصى مداها؟

وما كانت الحيرة إلا بسبب مرض ليلي. فالمرض كان يتصاعد وكل منا يدرك ذلك، وهى تشعر فى كل ساعة بحاجتها إلى وجودى بجوارها، بل ولصيق بها أكثر فأكثر. وناقشتها فقالت "أنا محتاجة لك لضروري، لكن مش ممكن اسمح لحد انه يقول انك توقفت لأنك خايف من الإخوان". وبعد صمت سالت دموعها فأسالت دموعى "أنا خايفة عليك ومحتاجه لك. لكن استمر بس اوعى تغلط فى مسائل الدين فيصطادوك" واتفقنا أن تقرأ بقدر الإمكان ما اكتب.

وبدأت معركة جديدة بأسلحة كتابة جديدة فأنت تخاطب حاكما وتريد أن تهزم الأسس التى تقوم عليها قواعد حكمه. وهو ليس الحاكم

وانما الآخرون المقيمون فى المقطم إلى جوارى حيث أسكن. ولأن القليلين، بل القليلين جدا ممن كانوا يتجاسرون بالكتابة ضد الحاكم الصورى والحكام الأصليين وضد جوهر الفكرة التى تبدت وكأنها انتصرت قد بدأ أغلبهم يقلل من الهجوم والانتقاد بزعم أن إرادة الشعب قد انصرفت إلى انتخاب رئيس إخوانى بغض النظر عن أى شيء، كنت أنا اتصرف وقد تلبستنى حالة تبدت أحيانا وكأنها غير منطقية فى نظر الكثيرين حتى من خصوم القوى المتأسلمة وهى أنهم ذاهبون حتما. وأن حكم الإخوان لن يبقى طويلا، وكنت أردد ذلك دوما دون خوف من الإخوان ودون سند ممن يفترض أنهم ضدهم.

ومع الحرص على البقاء فى المنزل كثيرا لأمنح ليلى مزيدا من القدرة على الاحتمال ومزيدا من الطمأنينة، وعلى أن اتلو عليها أولا بأول ما اكتب.. احسسنا معا أننا التصقنا ببعضنا وصرنا اقرب من أى وقت مضى بعد أكثر من خمس وأربعين سنة زواج.

* * *

وكانت مناوشات - مقالات - حوارات صحفية- حوارات تليفزيونية- كتب، استأذن فى أن نتوقف أمام بعض منها، مع ملاحظة شديدة الاهمية وهى أن الأمر لم يخل من ردود افعال.

فمع استمرارى كما كنت وأزيد بدأ بين يوم وآخر ظهور تجمعات من نساء واطفال تتجمع أمام بيتي، النساء يحملن طارات يدقون عليها بعنف والاطفال اولاد وبنات فى جلاليب بيضاء والهتاف.. يسقط يسقط الكفار، ابعد ابعد يا سعيد.. مش عايزينك غور

بعيد. فى البداية ارتبك الحرس فماذا يستطيع أن يفعل مع نساء واطفال، وقلت لهم لا تحتكوا بالمتظاهرات واتركوهن حتى يتعبن. أما ليلى فكان تعليقها "ما تقولش للاولاد علشان ما يخافوش".

وكان الرد هو حشد شابات وشبان بعد مغرب كل خميس وهو موعد اجتماع مكتب ارشاد الجماعة فى المركز العام،، يتجمع الحشد أمام المبنى حيث اجتماع المكتب ومعهم سيارات تفتح الكاستات دفعة واحدة وبأعلى صوت بموسيقى "سالسا" والجميع يرقصون .. فقط يرقصون دون أن يحتكوا بأحد أو يهتفوا ومن يتعب يدخل إلى جمعية البيئة وهى الجمعية التى سبق وأن اسهمت أنا فى انشائها منذ حوالى ثلاثين عاما لخدمة سكان المقطم وبها حديقة كبيرة وتقع بالضبط فى مواجهة مكتب الارشاد، وتكون الجمعية جاهزة بمشروبات باردة وحمامات نظيفة ومقاعد للراحة.. ويتواصل حفل الرقص إلى ما بعد العشاء ثم ينفض ليتكرر كل خميس.

وهكذا كل منا يرد على الآخر دون احتكاك. نحن لا نريد أن نحتك بنساء وأطفال، وهم لا يريدون أن يحتكوا ببنات وأبناء سكان المقطم الذى اقاموا فيه مقر المركز العام.

* * *

وفى صباح أحد الأيام أتى إلى مكتبى الدكتور محمود خيال وهو صديق قديم تعرفت عليه فى اطار جمعية التنوير (د. فرج فودة) وطلب مائة نسخة من كتاب لى اصدرته قبل حكم الإخوان بعامين وعنوانه "التأسلم السياسي- جماعة الإخوان نموذجا" طبع الكتيب

ثلاث مرات احداها من مكتبة الاسرة، لكنه نفذ بسرعة، وبحثت له ولم اجد، فاقترح أن نعيد طبع الكتاب وأن يتحمل هو واصدقائه التكلفة والتوزيع لأنه كان من المستحيل أن توزعه أى مؤسسة صحفية. واتفقت مع المطبعة، فطبعنا ألف نسخة بذات مواصفات وذات غلاف وذات البيانات بحيث لا يشعر أحد أنه إزاء طبعة جديدة.. وتسلم د. خيال النسخ التى تتوافق مع طاقة توزيعه هو واصدقائه وقمنا نحن بتوزيع الباقي.

ثم كان أن خطر فى بالى أن اجمع ما كتبت عن الإخوان ومرسى وممارساته منذ وصوله إلى الاتحادية فى كتاب. وبعد مماحكات ومفاوضات مع الطابع اتفقنا على أن يصدر وتم الايداع باسمى وأن يختفى اسم الطابع وابقى أنا المسئول.. وقد كان، وصدر الكتاب بعنوان صريح.. وهو "رسائل إلى د. مرسي- مقالات- حوارات- دراسات". وصدر يوم عيد ميلادى الثمانين وأهديته إلى ليلى وابنى خالد وابنتى غادة وأحفادى الأربعة نيفين ورامى خالد السعيد، ويوسف وليلى حسام فهمي" ثم قلت فى الإهداء فى هذا اليوم ١١-١٠-٢٠١٢ لكم الحب واجمل الامنيات مع كل الاعتذار عما تسببت مواقفى لكم كل من متاعب وقلق وما حملتكم من مشاق. وكونوا مع المستقبل مع الأمل، فمصر تستحق".

ومع صدور الكتاب تصاعدت مظاهرات النسوة بالدفوف وحملات الهجوم فى الفضائيات وبعض الصحف، وادركت اننى على الطريق الصحيح.

وكـان الـذى ازعـج مـرسى ورؤسـائه هـو بـعض عـبـارات المقدمة..ومنها كمثال "والمشكلة فى ايامنا البائسة تأتى من ارتباك المشهد الرئاسي، فلا هو رئيس ولا هو مرؤوس. هو يجلس منتشيا على عرش مهتز، ويسافر، يسافر، يسافر وكأنها فرصة لن تتكرر (وقد كانت كذلك فعلا) ويحاول الزعم بأن الزيارات تستهدف استجلاب نفوذ لمصر ناسيا أنه ولو طار حول الكرة الارضية فإن النفوذ لا يأتى إلا عبر اصلاح الوطن واستقراره وسعيه نحو التقدم، وما من شيء من هذا أتى به" ورغم عشرات المقالات والتصريحات والحوارات حملت انتقادات أشد قسوة وعنفا إلا أن عبارة "لا هو رئيس ولا مرؤوس" قد اغضبت مرسى أكثر من غيرها.. رغم أن غيرها كان اشد قسوة، أما غلاف الكتاب الذى اتشح بسواد كامل وبعلم مصر مسجون فى زنزانة عالية الاسوار.. فقد اغضب الكثيرين من قادة الجماعة.. واغضبهم اكثر أن اسم الطابع غير موجود وكذلك اسم مصمم الغلاف. ويبقى محيرا بالنسبة لى كيف ألخص ما ورد فى الكتاب، ليس لكى اتباهى بما لم يتجاسر عليه الكثيرون من ذوى الألسنة الطويلة، والذاكرة المراوغة الذين يحاولون أن يستروا خضوعهم المذل للاخوان وحكمهم واحكامهم بصراخ يأتى فى زمان اصبح فيه الإخوان سادتهم فى الامس داخل السجون. لكن نشر بعض هذه الكتابات والاقوال هو بذاته تسجيل لمواقف من الضرورى ذكرها وممارسات تعبر عن جزء من ذكريات عزيزة إلى قلبي.

مجرد اقتباسات من صراع مفتوح

ولم يكن هذا هو العنوان الاصلى لهذه الصفحات القادمة التى سأكتفى فيها بتقديم مجرد نماذج محدودة جدا، فقد كان العنوان "صفعات من صفحات كتاب عن مرسي" لكن ليلى التى اصبحت اتشاور معها فى كل ما تأتى به معركتى من كتابات ومواقف. توقفت أمام "صفعات" وقالت "الناس فى السجن ولا يستطيعون الرد عليك فيكفى أن تورد لهم ما قلته فى وجودهم وهم حاكمون، وكان هذا العنوان.

والكتاب من ٣٨٥ صفحة من القطع المتوسط. وهو بذاته وثيقة بالغة الاهمية تقوم بتشريح وشرح ما ارتكبته الجماعة الارهابية خلال حكمها.. وقد يأتى زمان يهتم فيه ناشر باعادة نشر هذه الوثيقة، ولهذا سأقتطع جملا وعبارات رغم أن ذلك صعب للغاية

فالكاتب إذا أحب كلمات خاض بها معركة قاسية يعتز بكل كلمة بل وبكل حرف وربما اعتبر تجاوزها تجاوزا لحقوق الكلمات ذاتها والتى كانت سلاحه وأداته فى معركته.

ومع ذلك سأحاول رغم أن الكلمات تتزاحم وكل منها تحاول إغرائك بأنها الافضل تعبيرا أو الأشد قسوة فى النقد والاكثر جمالا فى التعبير.. واعتذر للقارئ واعتذر للكلمات .. وأحاول.

مقالات

• **من مقال بعنوان.. الإخوان وماذا لو أن ؟**

أن التعديلات قد اجريت هى والاستفتاء عليها فى مناخ غاية فى الرداءة، واستخدمت الشعارات المتأسلمة بغاية التطرف "قل نعم للتعديلات تدخل الجنة، ولا تقل لا فتكون مع النصارى الكفرة".

وقد تدفقت تلال من الاموال وتدفقت كراتين البطاطس والزيت والشاى والسكر، ويضاف إلى ذلك مبلغ من المال إذا ما تسلم الناخب موبايل بكاميرا ثم يحصل على صورة بطاقة التصويت وعليها عقد بيع صوته.

وعلى أية حال نلاحظ شيئا مهما جدا فقد حصل الإخوان فى انتخابات مجلس الشعب الاخيرة على عشرة ملايين صوت وكسور ثم انهارت شعبيتهم خلال أربعة اشهر فقط ليحصل مرشحهم

الرئاسى فى الجولة الأولى على خمسة ملايين وكسور أى أنهم فقدوا خلال أربعة اشهر من الممارسات المأساوية نصف قوتهم الانتخابية. وهو ما يفسر رعبهم من حكم الدستورية العليا الوشيك بعدم دستورية قانون الانتخاب الذى جرى تفصيلة أيضا لحساب الإخوان.

وبالأمس سألنى صحفى ما هى الشروط والضمانات التى تطالبون بها مقابل منح أصواتكم لمحمد مرسى فى الجولة الثانية. وأجبت لسنا سذجا، ففى مئات المرات كانوا يتعهدون ويقسمون ويعدون وينقضون الوعد، ويخلفون العهد ويمارسون ذلك دون تردد بل ودون خجل. ولعل آخر عهودهم كانت موافقتهم الحاسمة والجازمة على معايير تشكيل لجنة وضع الدستور وتم ذلك بحضور المشير وأعضاء المجلس العسكرى ورؤساء الاحزاب وخرج عصام العريان ليعلن ذلك فى مؤتمر صحفى عقد فى مقر وزارة الدفاع وبعدها بيوم واحد نقضوا العهد.

• ومقال آخر بعنوان فلنبدأ

قلت فيه عندى كلمة للدكتور مرسي. عارضناك، وطالبنا الجماهير بعدم التصويت لك، وصوت ضدك قرابة ١٢,٥ مليونا وهؤلاء كثرة لا يستهان بها، فالفارق بينك وبين منافسك هو ١,٧٪ وهو حاجز قليل بين نصر وهزيمة وعليك أن تضع هذه الملايين الرافضة لك دوما فى اعتبارك، هذا إذا كان التصويت صحيحا ولا تزوير فيه.

• ومن مقال .. وأقسم مرسى بالثلاثة

اقسم الرئيس أمام الميدان عبر منصة اخوانية تماما، وكأن أحدا قرر أن يعلن لا تصدقوا انه تركنا، فهو رجلنا قبل أن يكون رئيسا لكم. الوجوه على المنصة، الممسكون بالميكرفون جميعا اخوان. وخطب مرسى كإخواني. وحرض الجماهير كإخواني، فى خطاب شعبوى غازل فيه من تجمعوا من غير الإخوان مؤكدا أنهم وحدهم مصدر كل شرعية بينما هو بلا شرعية أصلا. وهتف كأى اخوانى مشاغب ناسيا أنه إذ يشحذ سكينا ليشهره فى صدر المجلس العسكرى تخويفا له فإن ذات السكين قد يشهر فيوجه هو تخوينا له هو.

• ومن مقال "مرسي.. والمحكمة.. والميليشيات

فجأة سمع المصريون الدقات الثلاثة المعتادة عند بدأ العروض المسرحية. السفيرة التى نصبت نفسها مندوبة سامية لأمريكا تعلن فى حفل السفارة عن أملها فى سرعة انعقاد مجلس الشعب. والدقة الثانية انعقاد مجلس شورى الجماعة بعد تصريح السفيرة بساعات، وفى الصباح التالى تكون الدقة الثالثة فمرسى يلتقى مندوب أوباما وبعدها بساعتين يصدر المرسوم بدعوة البرلمان للانعقاد.

وعندما انعقدت جلسة المحكمة الدستورية العليا كان محامى الرئيس هو المحامى الاخوانى الاستاذ الحافى الذى تجاسر فإتهم الدستورية العليا بالتزوير فتحيله المحكمة للنيابة بعد أن قدمت دليلا

دامغا على كذبه. ويضطر مرسى أن يحنى رأسه لحكم الدستورية لكنه يظل ممتنا لحشود اخوانية حسنة التمويل والتدليل تهتف فى التحرير ضد الدستورية.

• ثم مقال "الدستورية تسأل.. ماذا يريد الشعب فى الدستور الجديد؟ جاء فيه:

ونقرأ فى عدد "الدستورية" ابريل ٢٠١٢ دراسة رائعة للمستشار محمد أمين المهدى رئيس مجلس الدولة السابق، بعنوان "المرجعية التراثية والثقافية للأحكام الدستورية.. ونتوقف أمام مبدأ أورده المستشار المهدى فيقول "فى مجال القانون تحسب أغلبية المصوتين فى الانتخابات على أساس من أدلوا بأصواتهم، أما فى مجال السياسة فإن الاغلبية ترد على كل من لهم حق التصويت.

ثم يقول "أن اساس الديمقراطية هو اشتراك المواطنين فى إدارة شئون البلاد ولئن كان للاغلبية أن تحكم إلا أنها تظل مقيدة دائما بقواعد تعلو الدولة القانونية ذاتها فتحكمها وهى قواعد الحقوق والحريات المقرره للانسان باعتباره انسانا ويعد احترامها من احترامه، ثم يقول "الدولة الديمقراطية سواء كانت محايدة أو علمانية أو مرتبطة بدين تقوم على مبدأ حماية حرية الضمير وممارسة شعائر العقيدة مع ايجاد مواقع متوازنة داخل المجتمع لمعتنقى الديانات السماوية.

(أود أن اسجل أن هذا المقال رغم أنه اعتمد على ما ورد فى مقال منشور بمجلة "الدستورية" ويعتمد على صياغات قانونية خالية من أى نقد مباشر أو هجوم على مرسى أو على الجماعة إلا أنه قد أثار ضدى غضبا عارما وتلقيت بسببه تهديدات مباشرة لكننى لم اهتم).

• ومقال بعنوان "يا أيها الجالس على عرش مصر حذار"

وفيه عديد من نصائح .. وفى ختامه "يا د. مرسى أن نصيحتى تأتى من خوف على مصر وليس عليك، ومع ذلك اتمنى أن تأخذها مأخذ الجد، فمصر العظيمة قد تنهار بسبب نشوة الاستحواذ وسوء الحكم والتحكم ولكنها ستنهض حتما لتعيد كتابة تاريخها من جديد، وساعتها لن يبق للمسئول عن ركوعها سوى عار الزمان وسبه الأبد.. فحذار مرة أخرى وليست أخيرة.

• وتحت عنوان "يا د. مرسى ما هكذا تكون الرئاسة"

كتبت .. "أن الغلاف الدينى الذى ترتديه، وتجولك بين المساجد متلبسا حالة الاولياء الصالحين، لن يمنحك وقاية من غضب جماهير الشعب الفقير والجائعة، وقبل ذلك فإنك حتى فى صلاتك وجلبابك الابيض لن تكتسب رضاء الرب ولا رضاء الشعب، فأية عبادة هذه التى تأتى عبر تعذيب مئات من جنود يصطفون لحراستك؟ وتأتى عبر تعذيب الاف المواطنين وأنت بمواكبك

الاستفزازية تسد عليهم طريقهم وتقطع عليهم ارزاقهم، وهل يأتيك الثواب عبر ما تنفقه دولة فقيرة، وشعبها يتمدد على حافة الجوع من أجل تنقلك بين المساجد لتجر خلفك جندا ومركبات واحيانا طائرة رئاسية، هل كل هذا لكى تقول للناس والله العظيم أنا مشبع بالتقوي؟ فما هكذا تكون التقوي.

• ومقال "د. مرسى بين مستشاريه وآمريه"

كتبت فيه "وعبر حوار مع اخوانى قديم، ترك الجماعة رسميا، ورسميا يبقى - على غير العادة- مقربا من الجماعة.. وكما توقعت بدأ بالتعاتب على ملاحقتى (الدكتور مرسى بالنقد الشديد، طلب مقابلتى فالتقينا وبدأ حديثه "ده راجل طيب وقلبه أبيض وإذا فهمته وفهمت وضعه سترضى عنه. فضحكت ضحكة عالية لفتت انظار الارستقراطيين الجالسين حولنا فتعلقت الدهشة بأبصار الكثيرين الذين عرفونى وعرفوه ودهشوا من لقائنا فتعمدت أن يعلو صوتى ليسمعه أكثر عدد ممكن وقلت "اوعى تكون عايزنى اشرب شاى بالياسمين؟ وفهم وبلباقة عهدتها فيه فرفع هو ايضا صوته "لأ.. انت راسك ناشفة ومتنفعش: ومضى بصوته الوقور المعتاد "وبالمناسبة الإخوان بيعرفوا دلوقت يعملوا كده وكثير من اللى بيقعدوا معاكم شربوا بسعادة غامرة شاى بالياسمين، وقد سمحوا لهم بأن يظلوا يرددون الفاظا تحمل مسحة معارضة، ثم قال انا مش جاى علشان كده. أنا جاى اقول لك رغم أنك كتبت ودرست كثير

عن الإخوان لكنك لم تفهم بعد قواعد لعبة الحكم الاخواني. وقد قرأت لك مقالا قلت فيه "أمامي رئيس وليس رئيسا وقد أتى بمستشارين غير اكفاء. والحقيقة أن هؤلاء المستشارين الرسميين جرت تسميتهم من صفوف الصف الاخوانى العاشر ومعهم آخرون جاءوا فقط لينفى الإخوان عن انفسهم تهمه الاستحواذ. لكن الغريب أن بعضهم صدق نفسه، وأعد كروتا عليها نسر بارز ومذهب وتحت الاسم كتب مستشار رئيس الجمهورية وهو لا يستشار ولا حاجه. لكن هناك مستشارين آخرين غير معلومين أتوا بتعلميات من الجماعة وبعضهم ايضا شرب شايا بالياسمين، والاستشارات تأتى غير متفقه مع المطلوب لأن الاختيارات جاءت لارضاء البعض". وفيما أحاول مقاطعته قال انتظر سأشرح لك شيئا فأنا قد ناقشت بعضهم بما لى لديهم من حقوق قديمة وإليك رأيهم "د. مرسى واحد من آحاد الناس. وهو قيادى من الصف الثالث وأتى إلى رئاسة الحرية والعدالة لتحقيق توازنات ترضى الشخص الاقوى فى الجماعة، وعندما جرى ترشيحه تقبل أن يجلس على دكه الاحتياطي. ولو ترشح مستقلا لما نال صوتا، ولما وجد من ينفق عليه، ولا الحشود التى حشدت له ولا المساندة الخارجية غير المرئية، وقاطعته قائلا "ولما كانت هناك المطبعة الاميرية وأقلام الحبر المتطاير" فهز رأسه موافقا ومضى قائلا "ولهذا فإن إخوان الصف الأول والثانى يعرفون جيدا أن الذى فاز هو الجماعة وليس مرسى ومن ثم فإن من حق الجماعة أن تحكم وتتحكم ولهذا تجد أحدهم – أن كان

قريبا من الرجل الاقوي- يتحدث كأنه رئيس ويطلب من الجميع أن يعاملوه كذلك، مرسى لا يغضب ولا يعارض وحتى اذا غضب فإن الرجل الاقوى لا يغضب وليس أمام مرسى سوى القبول. وسألته عن قصة النائب العام ومظاهرات ميدان التحرير فقال لقد رتبها الرجل "الأقوي" قبل سفره إلى الامارات لتأتى ثمارها وهو هناك، ويثبت لمن هناك أن الجماعة تحكم وتتحكم فأتت الثمار مريرة وعاد مهيض الجناح فقلت ثم ماذا؟ فقال "يا أخى راجع ما كتبته أنت عن المخطط الأمريكى للفوضي".. ونهض قائلا "على فكرة الرجل الأقوي" رغم أنه بلدياتك لا يطيقك فخلى بالك. فقلت له وأنا أودعه ضاحكا "تشرب شاى بالياسمين؟ فقال "لا أنا ولا انت نصلح". (والمثير للدهشة أن احدا لم يغضب من كل ما كتبت فى هذا المقال، فقط كانت التساؤلات تتجمع حول تخمينات من هو الذى قال لي.. والتخمين اتجه إلى اسماء لم تخطر ببالي.. المثير أن احدا لم يلتفت إلى حقيقة تفقأ الاعين فالشخص كان يتردد يوميا تقريبا على مقر مكتب الارشاد ويستقبل من الجميع - بغض النظر عن حقيقة المشاعر- باحترام وتوقير.

واكتفى بهذا المقاطع خشية أن يأتى الملل لقارئ فأنا شخصيا ممن لا يحبون التكرار.

وإذ آتى إلى الحوارات اخشى أن تتضمن هى ايضا تكرارا لما ورد فى المقالات ولذلك استأذن القارئ فى تجاوز الكثير منها لأنها تستعيد ذات المواقف وأحيانا ذات العبارات لكننى أتمنى أن يمنحنى

القارئ بعضا من صبر لاقرأ معه فقرات سريعة. من حوارا أجريته مع الاستاذ محمد حسن الألفى فى جريدة الميدان (٤-٩-٢٠١٢).

قلت فى الحوار عندما عرضت فى ٢٠٠٥ على مجلس الشعب اتفاقية قرض من الكويت وقف النائب الاخوانى الشيخ عسكر صارخا "من اقترض قرضا واعادة وفوقه حبه قمح واحدة فقد ارتكب جريمة الربا. لكن مرسى ورجاله فى البرلمان اليوم يستحلون الاقتراض بفتوى غريبة هى أن المقرض هو الذى يتحمل الإثم لأنه يستغل حاجتنا للاقتراض.

وفقرة أخرى فى الحوار "اخبرتنى عضوة فى لجنة الدستور انها انسحبت من اللجنة لعدم احتمالها لمواصلة النقاش المثير للغثيان مع الإخوان فعندما تقدمت باقتراح لتضمين الدستور مادة تمنع الاتجار بالبشر. هاج أحد الاعضاء متهما إياها بالوقوف ضد الشريعة مؤكدا أن الإسلام يبيح بيع البشر وسبى النساء. وقال علنا انه يوجد حتى الآن فى بعض البلاد العربية سوق لبيع وشراء الغلمان والجوارى والسبايا.. وقالت السيدة لم أصدق، ولم اتصور، ولم أعد احتمل.

ويسألنى الألفى عن موقعه ٢٤ اغسطس فى ميدان التحرير وهل كان الأمن ضدنا فقلت "حزب التجمع لا يشكو. فقد قمنا بتلقين الإخوان درسا مريرا. واكدنا لهم صحة قول الشاعر :

عدت الضباع عليك عاوية

ظنا بأنك مأكل جذر

فتذوقتك فقال قائلها

ان الغصنفر لحمه مر

وقد تلقنوا في يوم ٢٤ اغسطس درسا قاسيا وعرفوا "أن الغضنفر لحمه مر" وذهب عدد منهم بعد المظاهرات إلى منطقة معروف وسألوا عن مقهى التجمع فقال لهم أصحاب المحلات كل المقاهي الموجودة هنا للتجمع فسألوا عن مقهى محدد يمتلكه أحد قادة التجمع (ميمى عبد العزيز) وفى المقهى قال لهم أحد السكان أنا مش عضو فى التجمع لكن التجمع ساكن معانا من أكثر من ٣٥ سنة، يعنى إحنا أولاد حته واحدة واحنا كلنا وأهالينا وأولادنا بنحب التجمع واللى يمد ايده على التجمع حنقطعها.

ثم يبقى بعد ذلك حوار واحد اخترته لأن المحاور معى الاستاذ فوزى عويس. كان يشاغبنى وأشاغبه فإنسكبت أفكار مهمة.. ولنقرأ فقرات من حوار مع "الوطن (الكويتية) أجرى فى ١٠-١٠-٢٠١٢.

ونبدأ بالعناوين التى صاحبت الحوار.

البقال الاعظم، يحكم مصر ومرسى لا يملك من امر نفسه شيئا.

امريكا وقطر وتركيا تدبر مؤامرة ضد مصر.

خيرت الشاطر البقال الاعظم يمارس اللعبة ويتستر بالاتجار فى الجبن والزيتون.

الإخوان المسلمون هم "الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا".

الانتخابات الرئاسية المصرية حسمتها العفاريت. عفريت منهم دخل المطابع الأميرية والآخر استورد مليون قلم حبر متطاير.

اقول للحاج محمد مرسي، مصر مش ناقصة وعاظ والأولى بك أن تقتدى بعمر بن عبد العزيز وتضع تكاليف صلواتك فى اكباد جائعة.

هل سافر مرسى لأمريكا بصفته رئيسا أم بصفته الحزبية حتى يصطحب معه شبابا محسوبين على خيرت الشاطر.

مرسى لم يخلع بيعته للمرشد فالاخوانى بين يدى مرشده كالميت بين يدى مغسله.

ويقدم الاستاذ فوزى عويس متن الحوار قائلا "لعل المشكلة التى يمكن أن تصادف اى صحفى يحاور د. رفعت السعيد تكمن فى اختياره لأهم العناوين والمانشيتات .. فالرجل كل كلامه عناوين ومانشيتات لأنه يتكلم بصراحة كبيرة وتلقائية شديدة ولا يعرف اللف ولا الدوران ويسمى الاشياء باسمائها وفق رؤاه ويقترب كثيرا من الخطوط الحمراء ويتجاوزها أحيانا فى سبيل ايصال رسالته على نحو ابيض أو اسود فهو لا يعترف باللون الرمادى فى الموقف من الإخوان.

الدكتور رفعت السعيد فى حواره مع "الوطن" بلغت صراحته وتلقائيته حد الهجوم على جماعة الإخوان التى لم يكن يوما إلا ضدها فهم مخلوعون عن الحكم قطعا فى وقت قريب، وقال أن مرسى يدار من المقطم حيث خيرت الشاطر.

ويسألنى الصحفى عن صفات مرسى فأجيب :

مرسى يحقق امنياته بأن يتحول فى واقع الأمر إلى واعظ ، فهل رأيت رئيس جمهورية يخرج للصلاة بطاقية وجلابية بيضاء ويتبعه ألوف من جنود الأمن المركزى يغلقون السبيل أمام المواطنين ويشل حركة اقواتهم ويخطب فى الجوامع سياسة ، وهذا ممنوع قانونا .. واعتقد أن الحاج مرسى يعرف أن للصلاة مبطلاتها كما أن للصيام مبطلاته . وما يتم انفاقه على صلاته يمثل تكلفة عالية فهو يصلى وخلفه ثمانية صفوف من الجنود لحمايته و١٥ آلف جندى (وهذا رقم صحيح) لتأمينه فى طريقه .

ويقاطعنى الصحفى ولكن هل من اللائق أن تخاطب رئيس مصر فى مقال له قائلا "ايها الجالس على عرش مصر .. .. انت لم تكن تحلم بالمنصب والعرش" .

واجبت .. ما هو ده صحيح ، ويقاطعنى ولماذا صحيح ؟ ألم ينتخب بطريقة ديمقراطية ؟ واجبت" " كان مجرد استبن- وأسألك هل انت متأكد انه فاز فعلا فى الانتخابات ؟ فرد المحرر "انتم دائما تشيدون بقضاء مصر فلماذا تشككون الآن فيهم ؟ واجبت "هل هناك انتخابات صحيحة فيها عفاريت ، الانتخابات الرئاسية حسمتها العفاريت . ويسأل يعنى ايه عفاريت ؟ واجبت عندما تكون هناك فى المطابع الاميرية بطاقات انتخابية مغلقة بأغلفة بلاستيك ومختومة بأختام بحيث إذا فتحت لا يمكن اغلاقها مرة ثانية ، ومع ذلك يدخل عفريت داخل الاكياس ويعلم لصالح مرسى ثم يخرج

والاكياس مغلقة ومختومة.. وعندما يكون هناك عفريت آخر يستورد مليون قلم حبر متطاير، فهل تريد اقناعى أن الامن المصرى لا يعرف العفريت الذى دخل اكياس البلاستيك. ولا من استورد اقلام الحبر المتطاير ومن وزعها؟

وانتقل الصحفى إلى موضوع آخر هو ملاسناتى مع عصام العريان وقال لقد نعى عصام العريان اليسار وقال "ولا عزاء ليسار رفعت السعيد. فقلت لقد رددت عليه ردا قاسيا، ثم قال أننا نحصل على تمويل اجنبى وأننا نحتقر الاديان فأتيت له بوثائق وبأرقامها فى ارشيف الخارجية البريطانية تؤكد استلام حسن البنا تمويلا كبيرا عدة مرات من المانيا النازية، وأن حسن البنا ادعى فى مقابل ذلك أن المانيا النازية وايطاليا الفاشية تتجهان للإسلام. فشاغبنى المحرر هذا كلام قديم. فقلت لكن رومنى قال مؤخرا فى الكونجرس أن اوباما اعطى للاخوان ٥٠ مليون دولار لانفاقها فى انتخابات مرسي. فقاطعنى قائلا"وهل رومنى صلى الله عليه وسلم؟ واجبت لا سيدى مصلاش الله عليه وسلم ولكنه ليس طفلا وكان من الممكن أن يصبح رئيسا لأمريكا، وقد قال هذا الكلام مش فى قهوة ولكن أمام الكونجرس الأمريكى ولم يجرؤ احد على تكذيبه.

ثم قلت اقول لك معلومة اخري. رئيس مخابرات قطر زار القاهرة وفى قصر أحد المليادرات الليبيين وهو بالمناسبة متزوج من مصرية وهى ابنة مسئول كبير انتقل لرحمة الله. وحضر اللقاء د. مرسى قبيل انتخابه رئيسا ومعه د.عصام العريان..وهذه المرة كان

فيه عفريت ضدهم فسجل الحوار، وفيه قال رئيس مخابرات قطر أى أموال تريدونها خذوها من هذا الرجل وأشار لصاحب البيت.

وهنا قال الصحفى اعود إلى تلاسنكما انت والعريان. فقلت هم عرفوا بموضوع العفريت وانني عرفت ما تم تسجيله ضدهم فتراجع عصام، وقرر أن يلم الدور، وقال "نحن لا مشاكل لنا مع اليسار ونحن نحترمه ولكن رفعت السعيد مزودها شوية.. وبعدها بيوم قال لا تحفظات لنا على أحد وبهذا اتضح تماما. أنهم يخشون من فتح الملفات.

وقال الصحفى فى الختام أنت تساءلت من اين ثروات حسن مالك وخيرت الشاطر أنت ناسى أن هناك ٦٠٠ الف اخوانى يدفعون اشتراكات؟".

وقلت : انت بتتكلم عن ميزانية الجماعة ، وأنا اتكلم عن ثروة افراد. وأنا أؤكد لك أن المرحوم محمد مالك والد حسن مالك كان واحدا من عباد الله الفقراء، أما خيرت الشاطر فهو من قرية بجوار المنصورة ووالده الحاج سعد الشاطر كان شخصية محترمة وكل ما يمتلكه كان خمسين فدانا وزعت على ورثة عديدين فمن أين ثروتهما الشخصية".

وبعد هذا استأذن فى انهاء حديثى عن الحوارات التى استثارت غضبا وغيظا لدى قيادات الجماعة الارهابية اكثر من المقالات. ربما لأن المقالات تكتب بتأنى وتتحاشى الألفاظ القاسية ولكن الحوارات تنطلق فى تلقائية وكمثال عندما إستفزنى الاستاذ فوزى عويس قائلا معلقا على قولى فقرة "المطابع الاميرية والاقلام المتطايره الحبر"

لنستخدم المنطق.. فهو فى النهاية قد نجح رئيسا بقرار من قضاء محترم فقلت بعفوية اغاظت الإخوان غيظا شديدا : ليس من المنطقى أن نستخدم المنطق لفهم قضايا غير منطقية".

***

ويبقى بعد ذلك عدد من الدراسات والأوراق اعدت خلال فترة حكم مكتب الارشاد منها.

عن الخلافة وأوهامها.. (وقد كتبتها بعد أن خرج د. محمد بديع مرشد الإخوان فور انتخابات مجلس الشعب فى حديث صحفى قائلا " إن الإخوان يسعون لاقامة الخلافة الاسلامية فهى فرض دينى وهى سبيل كى تتسيد جماعة الإخوان العالم - وقد طبعت من هذه الورقة آلافا من النسخ وعدة طبعات ووزعت مجانا فى أكثر الاحيان). وجاء هذا التوزيع المجانى ردا على كتيب سلفى أعده السلفيون بعنوان "الخلافة- الفريضة الغائبة " وكان يوزع امام المساجد بكميات لم أكن لاستطيع مجاراتهم فيها. ولكننى قدمت جهد المقل).

وورقة اخرى بعنوان "محاولات اسلمة الدولة فى مصر وتركيا".

وثالثة قدمت بالانجليزية فى ندوة عقدتها جامعة اثينا وعنوانها "٢٥ يناير.. ربيع متعجل فخريف ممتد".

لكننى استأذن القارئ فى أن اكتفى باعادة نشر ورقة أوهام الخلافة فقد كانت بالنسبة للاخوان ولكل المتأسلمين الاكثر تحديا والاكثر ايلاما.

عن الخلافة وأوهامها

ما أن أعلنت نتائج انتخابات مجلس الشعب المصرى حتى تحدث المرشد العام لجماعة الإخوان الدكتور محمد بديع فى حديث صحفى معلنا أن الإخوان يسعون لاقامة الخلافة الاسلامية، وأنها فرض دينى وانها سبيل كى تتسيد جماعة الإخوان العالم.

وما إن اتسعت رقعة النشاط السلفى حتى اتسعت رقعة الحديث عن الخلافة والقول بأنها فريضة، وما لم ينهض المسلم بالدعوة إليها فهو آثم، الأمر الذى يدفعنا إلى الكتابة في هذا الأمر، ولا نزعم قبل أن نمضى فى الكتابة أننا نمتلك القول الفصل، ولكنها محاولة لفتح حوار حول هذا الأمر ربما ينهض به من هم أجدر منا بفهمه والإحاطة بأمره.

ونبدأ كالعادة بتعريف كلمة الخلافة، وفى القاموس الوسيط نقرأ: "الخلافة هى الإمامة، والخليفة هو المستخلف والسلطان

الأعظم" لكن الشائع فى القواميس الأخرى هو : "أن الخلافة هى رئاسة عامة للمسلمين فى كل الدنيا" بمعنى "أنه لا يجوز لبلد أو جماعة من المسلمين أن ينفردوا باختيار الخليفة، بل يتعين أن يبايعه المسلمون فى كل بقاع الأرض. ومن لا يبايعه يكون آثماً" "ومن مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية".

وفور وفاة الرسول الكريم ثارت هذه المسألة، وتطلع آل البيت إليها خاصة على بن أبى طالب، لكن عمر بن الخطاب خشى أن يتحول الأمر إلى تقليد، ثم إلى عرف، فقال لابن عباس "إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا فى السماء شمخاً بذخاً" (ابن أبى الحديد- شرح نهج البلاغة- جزء ٢- صـ٩).

وأتى أبوبكر بعد ملاسنة شديدة وربما قاسية مع سعد بن عبادة الذى طالب بها للأنصار ثم طالب ببعض منها لهم "لكم أمير ولنا وزير". ومنذ اليوم الأول عرف أبوبكر حدوده فوقف فى الناس قائلاً: "أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامى هذا كارها ولوددت أن فيكم ما يكفينى" ثم "أتظنون أنى أعمل فيكم بسنة رسول الله؟

إذن لا أقوم بها. إن رسول الله كان يعصم بالوحى، وكان معه ملك، وإن لى شيطاناً يعترينى. ألا فراعونى وإن زغت فقومونى" (أبوجعفر الطوسى- تلخيص الشافى- الجزء الأول صـ١٠). وهكذا ومنذ اليوم الأول تحول الحكم والأحكام إلى مسألة إنسانية فالوحى انقطع. وحكم الحكام بالرأى أو بالدقة بما يعتقدون هم أنه مستمد

من الشرع. لكن هذا الاعتقاد فعل إنسانى يحتمل الخطأ والصواب. وتوالى الخلفاء الواحد تلو الآخر، ولكل منهم رأيه ورؤيته وممارساته التى تختلف عن الآخرين. ويورد الإمام السيوطى أن عبدالملك بن مروان (حكم ٧٣ هجرية) خطب فى الناس يوم ولايته قائلاً "أيها الناس: لست بالخليفة المستضعف (عثمان) ولا بالخليفة المداهن (معاوية) ولا بالخليفة المأفون (يزيد) ألا أنى لا أداوى هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم. والله لا يفعلن أحد فعلة إلا وجعلتها فى عنقه، والله ما يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه".

أما قصة عبدالملك بن مروان هذا، فتبدأ بأنه انتقل إلى المدينة شاباً وأقام فى مسجد الرسول يقضى يومه وليله يصلى ويقرأ القرآن، حتى سموه "حمامة المسجد"، واستبشر الناس خيراً إذ تولى الخلافة، فإذا به يقول ما قال "والله ما يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه".

وأول من قال بالخلافة الخليفة معاوية ورجاله فمعاوية يزعم "والله ما أردتها لنفسى لولا أنى سمعت رسول الله يقول: يا معاوية إن حكمت فاعدل". ثم ابتدع رجاله حديثاً مكذوباً "الخلافة بعدى ثلاثون عاماً وبعدها ملك عضوض" وإذ أوفى الثلاثين عاماً وقف ابن المقفع فى مجلسه قائلاً "خليفة رسول الله هذا وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشرع سيفه فى وجه الجميع". ثم تحدث فقهاؤه عن مشروعية ولاية المتغلب. ودخلوا

بالمسلمين إلى زمان ما سمى بالخلافة والخلفاء، لكن المسلمين كانوا أكثر ذكاء فسموا الخلافات بمسماها الحقيقى، فنسبت الخلافات إلى العصور والأسماء البشرية، الخلافة الأموية- العباسية- السلجوقية- العثمانية، ويبقى بعد ذلك حقيقة الموقف الفقهى من الخلافة. ونقرأ:

- الشهرستانى يقول فى كتابه "نهاية الإقدام" "إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد".

- الجرجانى يقول فى "شرح المواقف" "إن الخلافة ليست من أصول الديانات والعقائد، بل هى من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين".

- الإمام الغزالى يقول فى "الاقتصاد فى الاعتقاد" "الإمامة ليست من المعتقدات".

- أبوحفص بن جميع يقول فى "عقيدة التوحيد" "إن الإمامة مستخرجة من الرأى وليست مستخرجة من الكتاب والسنة".

- الآمدى يقول فى "غاية المرام فى علم الكلام" "واعلم أن الكلام فى الإمامة ليس من أصول الديانات، بل لعمرى فإن المعرض عنها لأرجى حالا من الواغل فيها، فإنها لا تنفك عن التعصب والأهواء وإثارة الفتن والشحناء".

ويستند كل هؤلاء الفقهاء إلى فهم صحيح لآيات القرآن الكريم. فالكثيرون من دعاة الخلافة يستندون إلى الآية الكريمة "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله" (النساء- ١٠٥) لكن

البيضاوى فى تفسيره والقرطبى فى "الجامع لأحكام القرآن" يؤكدان أن كلمة "تحكم" هنا كانت تعنى أن تكون قاضيا بينهم. ويؤكد أغلب الفقهاء أن كلمة "الحكم" قد أتت فى القرآن الكريم فى كثير من الآيات بمعنى الحكمة أو الرأى السديد، ويستدلون على ذلك بآيات عدة منها "يا يحيى خذ الكتاب بقوة. وآتيناه الحكم صبياً" (مريم: ١٢) ولم يكن يحيى حاكماً بل منحه الله الحكمة وهو صبى.

وآية أخرى عن عيسى بن مريم نقرأ فيها "ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى" (آل عمران- ٧٩). ولم يكن السيد المسيح حاكماً. وكذلك لوط "ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً" (الأنبياء: ٧٤) وموسى أيضاً "ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً" (القصص-١٤).

وكلما أطلنا فإننا سنكتشف أن البعض يوهمنا بضرورة "الخلافة" والإيمان بها وأنها شعيرة من شعائر الإسلام لا مناص منها. لكن كل ما سبق وأضعاف أضعاف غيره تنفى نفياً قاطعاً فكرة الحاكم المطلق والخليفة المتحدث باسم السماء والحاكم بأمرها.

ويبقى أن نشير فى كلمة قادمة إلى النتائج المأساوية لحكم الخلافة والخلفاء.

ونكتشف منذ البداية أن اسم الخلافة والخليفة صناعة انسانية استهدفت مصالح دنيوية لا علاقة لها بالدين.

ويروى ابن الأثير فى كتابه "الكامل فى التاريخ" حواراً جرى بين عمر بن الخطاب فى أول أيام ولايته وبين المغيرة بن شعبة فقال "ناداه

المغيرة: يا خليفة الله فرد عمر: ذاك نبى الله داوود، فقال المغيرة: يا خليفة رسول الله، فأجاب عمر ذاك صاحبكم المفقود (يقصد أبوبكر) فقال المغيرة إذن نناديك: يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر: ذاك أمر يطول، فما كان من المغيرة إلا أن ناداه يا عمر، فقال عمر: لا تبخس مكانى شرفه، أنتم المؤمنون وأنا أميركم"، وبعدها استقرت تسمية "أمير المؤمنين" لكن مقتل عمر بن الخطاب فتح الباب واسعاً حول رئاسة المسلمين وتبدى هذا الصراع سياسياً وأحياناً قبلياً وسيطرت المصالح الشخصية والقبلية على الخلاف والمختلفين لكنها فى كل الأحوال اتخذت طابعاً دينياً ليكتسى الأمر بالقدسية التى تدفع الإنسان للقتال والتضحية بحياته.

لكن الكثيرين من الصحابة رفضوا الوقوع فى هذا الفخ بما دفع الصحابى الزاهد أبو زر الغفارى إلى الصياح قائلاً "والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هى من كتاب الله ولا سنة نبيه. والله إنى لأرى حقاً يُطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً وأثرة بغير تقى".

أما الصحابى سعد بن أبى وقاص فقد رفض الاشتراك فى هذا القتال معلناً "والله لا أقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان وشفتان فيقول هذا مؤمن وهذا كافر". ولأن الصراع شخصى وقبلى فقد تخطى كل الحدود، فيزيد أرسل جيشه إلى المدينة ليخضع سكانها ويفرض عليهم البيعة، وأباح "المدينة" لجنده ثلاثة أيام فقتلوا وسلبوا ونهبوا ويقال إنهم افتضوا بكارة ألف فتاة وتهلل يزيد فرحاً وارتد إلى قبليته ذات الصبغة الجاهلية، فتذكر موقعة بدر حيث وقف

سكان المدينة من الأنصار (الأوس والخزرج) مع الرسول فهزموا جيش أبى سفيان جد يزيد وأنشد :

ليت أشياخى ببدر شهدوا
فزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً
ولقالوا ليزيد لا فشل

وإذ يتفرعن الخليفة ويملى إرادته بحد السيف يكون دوماً بحاجة إلى سند دينى يبرر به ظلمه وقهره للرعية ويتصدر هؤلاء أبو بكر الطرطوشى الذى يبرر استبداد الخليفة قائلاً "فالله سبحانه وتعالى جبل الخلق على عدم الإنصاف فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقر لهم معاش ومن الحكم التى وردت فى إقامة السلطان أنه من حجج الله على وجوده سبحانه، ومن علاماته على توحيده. العالم كله بأسره فى سلطان الله كالبلد الواحد فى يد سلطان الأرض" إنه يعتبر أن استبداد الخليفة بالسلطة والسلطان هو بذاته دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ونمضى مع الطرطوشى لنقرأ "وإذا كان الخليفة قاهراً لرعيته كانت المنفعة به عامة، وكانت الدماء فى أُهبها محقونة، والحرم فى خدورها مصونة، والأسواق عامرة والأموال محروسة" (أبوبكر الطرطوشى- سراج الملوك- الباب السابع- صـ ١٥٦). أما الإمام أبو الحسن الماوردى فيقول فى كتابه الأحكام السلطانية "إن أهل الرأى متى عقدوا البيعة للإمام، لا يجوز لخلوق نقضها، لأن الرعية عليها بموجب هذه البيعة

الطاعة والنصر للإمام ما وسعتهم الطاعة ولا يحل القيام عليه بحال من الأحوال". وكذلك كان الحال مع العديد من فقهاء الخليفة.

أما الشعراء وهم رموز الثقافة فى ذلك الزمان فقد أمعنوا فى تملق الخلفاء ووضعوا كل موهبتهم فى خدمتهم ونقرأ:

إن الخليفة قد أبى
وإذا أبى شيئاً أبيته

وأيضاً:

أبوك خليفة وكذاك جدك
وأنت خليفة وذاك هو الكمال.

والفرزدق يقول:

فالأرض لله ولاها خليفته
وصاحب الأرض فيها غير مغلوب.

ويتفوق عليه جرير فى نفاق الخليفة قائلاً:

ذو العرش قدر أن تكون خليفة
وملكت فاعل على المنابر واسلم

أما ابن هانئ الأندلسى فيتفوق على الجميع فى نفاق يصل إلى حد الهرطقة:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار
فكأنما أنت النبى محمد
وكأنما أنصارك الأنصار

وما أردت من هذه الفتاوى والقصائد إلا أن أقدم بعضاً قليلاً من الثمار المريرة للحكم المطلق المغلف بغطاء دينى كثيف يزعم بأن الخلافة هى جزء من شعائر الإسلام بما يجعل الخليفة حاكماً متحكماً لأنه يحكم باسم السماء فيمضى الأمر به إلى "فاحكم فأنت الواحد القهار" ويمضى بنا البعض أو يحاولون إلى ذات المصير.

ولعل هذه السلطة المطلقة هى التى أطمعت الكثيرين حتى الإخوة والأمهات فى الاستيلاء على موقع الخلافة عبر القتل والنتائج الرقمية توضح ثمار هى الشهوة. فعدد الخلفاء الأمويين ١٤ والعباسيين ٢٢. والمجموع ٣٦ خليفة قتل منهم ١٧ غيلة. والكارثة أن القتلة كانوا إخوة أو أبناء عم، بل إن إحدى الأمهات اغتالت ابنها الخليفة لأنه لم يقتسم معها السلطة لتأتى بابن آخر ضعيف.

وكما أردت من ذلك كله إلا إيضاح الثمار المريرة لاختراع فكرة الخلافة واختراع سلطانها المطلق المتحدث باسم السماء.

ويبقى بعد ذلك أن نحاول الكتابة عن علاقة فكرة الخلافة بمصر، ففيها ما هو أكثر بطشاً وأكثر إيلاماً.

* * *

كان سلطان مصر فى هذا الزمان قنصوة الغورى وكان يقوم كل عام بالواجب المصرى وهو رعاية الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة والقدس.

وكان حاكم مصر يشرف بنفسه على صناعة كسوة الكعبة وتسفيرها فى احتفال مهيب مع ركب المحمل. وأتى البريد إلى

قنصوة بأن الخليفة العثماني يحشد حشوده لغزو مصر فوجه رسالة إلى سليم الأول جاء فيها "علمنا أنك جمعت عساكرك، وأنك عزمت على تسييرهم علينا، فتعجبت نفسنا غاية التعجب لأننا والحمد لله من سلاطين أهل الإسلام وتحت حكمنا مسلمون موحدون".

ويرد عليه الخليفة العثماني كاذباً "يعلم الله وكفى به شهيداً أنه لم يخطر ببالنا طمع في أحد سلاطين المسلمين أو مملكته، أو رغبة في إلحاق الضرر به فالشرع الشريف ينهى عن ذلك" (ابن إياس- بدائع الزهور في وقائع الدهور- الجزء الثاني- صـ١٢٤)، لكن الحقيقة هي أن الخليفة العثماني كان مصمماً على غزو مصر. ولم يكن ينتظر سوى فتوى شرعية تسمح له بأن يقوم بغزو بلد يسمي سلطانه نفسه بأنه "خادم الحرمين الشريفين"، ويقوم بكسوة الكعبة، ويحتضن الأزهر الشريف.

وأخيراً عثر الخليفة على ضالته في فتوى مثيرة للسخرية جاءت على يد قاضي عسكر الأناضول كمال باشا زاده استند فيها إلى الآية الكريمة "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" والأرض هي مصر لأنها وردت في آية قرآنية مشيرة إلى مصر. أما "عبادي الصالحون" فهم طبعا العثمانيون. وسارع مفتي الآستانة إلى مساندة فتوى قاضي العسكر فأصدر فتوى تقول "من مفتي الأنام شيخ الإسلام فتوى بوجوب غزو مصر لأن أهلها قطاع طرق، والقتال ضدهم غزو جهاد والمقتول في هذه

الغزوة شهيد ومجاهد"، وتقترب الجيوش العثمانية من مصر ويرسل سليم الأول إلى حاكمها آنذاك طومان باى رسالة يقول فيها "إن الله قد أوحى إلىَّ بأن أملك الأرض والبلاد من الشرق إلى الغرب كما ملكها الإسكندر ذو القرنين وأنا خليفة الله فى أرضه، وأنا أولى منك بخدمة الحرمين الشريفين".

ويروى ابن إياس فى كتابه فظائع مخيفة ارتكبها جنود الخلافة ضد المصريين، ونقرأ و"اتجه الجنود العثمانية إلى الطحانين فأخذوا البغال والخيول، وأخذوا جمال السقايين، ونهبوا كل ما فى شون القمح من غلال، ثم صاروا يأخذون مواشى الفلاحين ودجاجهم وأوزهم وأغنامهم وحتى أبواب بيوتهم وخشب السقوف أخذوه، وأرسل سليم واحداً من أكثر رجاله وحشية هو جان بردى الغزالى إلى الشرقية"، ونعود إلى ابن إياس ليصف ما حدث "فوصل جان بردى الغزالى إلى نواحى التل والزمرونين والزنكلون ونهب ما فيها من أبقار وأغنام وأوز ودجاج، وقام بأسر الصبيان وسبى البنات باعتبار أنهم أبناء كفار وراح يبيعهم فى أسواق المحروسة بأبخس الأثمان.

وسارع المصريون بشرائهم من سوق العبيد والجوارى ثم يهبونهم لأهاليهم. وترك سليم الأول ممثلا للوالى التركى يقول عنه إبن إياس إنه كان سكيراً شرساً "وكان يصبح كل صباح وهو مخمور فيحكم بالعسف والظلم وهو مخمور" ويلخص إبن إياس ما فعله جند الخلافة فى مصر قائلاً "لقد أشعلوا فى مصر جمرة نار" ولعل هذه

الأيام هى التى لقنت المصريين شعاراً ظلوا يهتفون به أمداً طويلاً "يا رب يا متجلى أهلك العثمانلى".

وتظل العلاقة المصرية- العثمانية على الدوام علاقة خصومة، فالمصريون يهتفون فى أعماقهم "يا رب يا متجلى أهلك العثمانلى"، لكنهم يواصلون الخضوع للخليفة العثمانى باعتباره خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين. ووجد المصريون أنفسهم فى هذا التناقض المربك حتى كانت الثورة العرابية. ومنذ البداية حاول عرابى ألا يصطدم بالخليفة، ويروى ويلفرد بلنت أشهر مؤرخى الثورة العرابية "أكد لى عرابى: نحن جميعا أبناء السلطان نعيش كأفراد أسرة واحدة فى بيت واحد، كل منا له إقليم من الإمبراطورية، أى له حجرة مستقلة فى المنزل، وهى حجرة خاصة بنا نتصرف فيها وفقاً لإرادتنا ويجب ألا نسمح لأحد بأن يعبث بسيادتنا أو وضعنا المستقل" (بلنت- التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر- بالإنجليزية- صـ٧٠).

ويكتب صابونجى إلى بلنت رسالة أكثر وضوحا أن العرابيين يتملقون السلطان ويعلنون ولاءهم له كخليفة للمسلمين لكن الحقيقة هى أن السلطان لا يعنيهم فى شيء وحين يحسون بقوتهم سيعلنون إقامة حكومة جمهورية؟(المرجع السابق - ص٤٧).

وينتشر نفوذ عرابى ليس فى مصر وحدها بل فى عديد من البلدان ووصل نفوذه الجماهيرى حتى الهند والسودان ولهذا كره الخليفة عرابى وأرسل حملة إلى مصر لتأديبه. وتصل الحملة إلى

اللاذقية ويصف مراسل التايمز اللندنية موقف السكان منها قائلا "لقد حدث هيجان شديد وأعلن السوريون مقاطعتهم للحملة وامتنعوا عن التعامل معها، وأظهروا الجفاء والامتهان لها لأنها خرجت لمحاربة مسلمين. وخرج عن القاعدة أحد كبار التجار فباع للجنود العثمانيين لحوما وطعام فلم ينته اليوم حتى احرقت كل متاجره وكان الرجل يصرخ كالمجنون طالبا النجدة فيبصق الناس فى وجهه قائلين اطلب النجدة من سادتك الأتراك" المتحدث البريطاني. ملف F.O. 371 وفي الوقت الحرج تماما وبينما الجيوش البريطانية تغزو مصر وجيش عرابى يحاول المقاومة تصل إلى مصر آلاف من نسخ جريدة "الجوائب" وهى الجريدة الرسمية للخلافة الناطقة باللغة العربية ويقوم بتوزيعها على جنود عرابى ومناصريه عملاء الخديوى توفيق وفى صدرها ما يلى " بيانامه بإرادة سيدنا ومولانا السلطان أمير المؤمنين وخليفتنا الأعظم إشعارا لجميع المسلمين بأن الأفعال التى أجراها عرابى وأعوانه فى مصر مخالفة لإرادة الدولة العلية السلطانية ومغايرة لمصالح المسلمين وبناء على ذلك تقرر أن عرابى وأعوانه عصاة بغاة وبهذه الصفة تجرى معاملتهم" وتكون الضربة قاضية فكثير من المواطنين والجنود ترددوا بعد أن اتهمهم الخليفة أمير المؤمنين بأن من يقف مع عرابى عصاة بغاة. وانتصر الإنجليز.

وظل المصريون يرددون فى قلوبهم "يا رب يا متجلى أهلك العثمانلى" ويرددون معها "الولس هزم عرابى".

وكما كانت الخلافة الأخيرة تركية فقد انتهت على أياد تركية. وأعلن كمال أتاتورك إسقاط دولة الخلافة، ونفى الخليفة إلى منطقة نائية وينهض ولى الدين يكن، أحد أشهر دعاة الليبرالية فى مصر، وهو تركى الأصل، هاتفاً:

سلاما أيها النافى الرعايا ولا تجزع فخالقهم نفاكا

وما أنا شامت بك حين تبكى كمن شمتوا ولكن ذا بذاكا

وبالمقابل اجتمع بعض علماء الأزهر وأصدروا بياناً يؤكدون فيه "بطلان ما قام به الكماليون لأن الخليفة قد بويع من المسلمين ولا يمكن خلعه" "محمد حسين- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر- الجزء الأول- صـ٤٧".

ويرد عليهم شوقى شعراً:

مضت الخلافة والإمام فهل مضى

ما كان بين الله والعباد

والله ما نسى الشهادة حاضر

فى المسلمين ولا تردد شادى

والصوم باق والصلاة مقامة

والحج ينشط فى عناق الحادى

وكان موقع الخلافة الخالى قد أسال لعاب الكثيرين ومنهم ملك الأفغان أمان الله، وملك الحجاز حسين بن على، لكن الملك فؤاد قرر أن يكون الخليفة، فنسى الشيوخ الغاضبين من خلع الخليفة غضبهم، وقاموا بالدعوة لتنصيب الملك فؤاد خليفة وقرروا دعوة ممثلى جميع

الأمم الإسلامية إلى مؤتمر يعقد فى القاهرة برئاسة شيخ الأزهر للبحث فيمن تسند له الخلافة ومكان وجوده، وحددوا شهر شعبان من العام التالى لانعقاده" (المنار- مجلد ٢٥- ١٩ شعبان ١٣٤٢هـ- ٢٥ مارس ١٩٢٤)، وتمضى عجلة الإعداد للمؤتمر مدعومة من القصر والأزهر وفى ربيع أول ١٣٤٣هـ (أكتوبر ١٩٢٤) تصدر نشرة باسم "المؤتمر" مهمتها الترويج لمؤتمر الخلافة، ويكتب الشيخ رشيد رضا فى صدر العدد الأول قائلاً "إن المؤتمر سيضم علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية، خاصة أن مهمته هى وضع قواعد للحكومة الإسلامية المدنية، التى يظهر فيها علو التشريع الاسلامى، واختيار خليفة وإمام للمسلمين". لكن المعادين للخلافة كانوا كثيرين فسعد زغلول رئيس الوزراء رفض الفكرة، وحلفاء الملك سياسياً من خصوم الوفد وهم "الأحرار الدستوريين" عارضوها وتكتب جريدتهم السياسة "إن الدستور ينص على أنه لا يجوز للملك أن يتولى مع ملك مصر أمور دولة أخرى بغير رضاء البرلمان، ومن ثم يتعين ترك هذه المسألة للسياسيين، وأن يكف علماء الأزهر عن دعوتهم" (السياسة- مارس ١٩٢٦)، وبرزت مطامع ملوك وأمراء لدول إسلامية ترفض تولى فؤاد، ويطلب كل منهم أن يكون خليفة. ثم ينهض شيخ أزهرى هو الشيخ على عبد الرازق ليكتب مقالاً فى السياسة يقول فيه "كانت مسألة الخلافة أولاً دفاعاً عن مقام معين يراد الاحتفاظ به كأثر يحتاج إلى العناية وكمريض يحتاج إلى الرعاية، لكن المسألة انتقلت إلى وضع آخر،

واتجه الرأى إلى العمل لإيجاد مقام جديد، لأن أناساً يريدون أن يبقى فى الوجود ذلك الشىء" (السياسة- المرجع السابق). وهاجمت الصحف الوفدية المؤتمر الذى كان انعقاده إشهاراً لوفاة فكرة الخلافة، فالحضور هزيل والنتائج هزيلة، وفشل الملك فؤاد فى تحقيق طموحه. لكن البعض كان يظل ملحاً على فكرة الخلافة، وكان الشيخ على عبدالرازق، عضو هيئة كبار العلماء وهو ليبرالى الموقف، قد أصدر كتابه الشهير "الإسلام وأصول الحكم"، الذى بدد فيه كل دعاوى أصحاب دعوة الخلافة ونقرأ فى الكتاب "الحكم والحكومة والقضاء والإدارة ومراكز الدولة هى جميعاً خطط دنيوية صرفة لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها، ولا أمر بها ولا نهى عنها وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة" "صـ١٠٢" ويقول "إذا كان فى الدنيا شىء يدفع المرء إلى الاستبداد والظلم ويسهل عليه العدوان والبغى، فهو مقام الخلافة الذى معه لا شىء إلا العسف ولا حكم إلا السيف" "صـ٢٨" ويقول "إن شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذى يسميه البعض (خلافة) و(خلفاء) فليس من حاجة إلى تلك الخلافة فى أمور ديننا ولا لأمور دنيانا .. فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين، وينبوع شر وفساد" "صـ٣٦". وقامت الدنيا ولم تقعد ضد الكتاب والكاتب. غضب الملك وغضب معه وله عديد من شيوخ الأزهر، وكتب رشيد رضا محرضاً "لا يجوز لمشيخة الأزهر أن تسكت عن

هذا الكتاب لئلا يقول صاحبه وأنصاره إن سكوتهم عنهم إجازة له، أو عجز عن الرد عليه" "المنار- ٢١يونيو ١٩٢٥" وسريعاً يصدر الشيخ الخضر حسين كتاباً بعنوان "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" وأهداه دون تردد إلى "حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر الأعظم طالباً منه حماية الشريعة بالحجة والحسام". وجاء الحسام عبر هيئة كبار العلماء بالأزهر التى استدعت المؤلف وحاكمته وصدر حكمها فى ١٢ أغسطس وقررت "نزع شهادة العالمية منه ومحو اسمه من سجلات الأزهر وطرده من كل وظيفة، لعدم أهليته للقيام بأى وظيفة دينية أو غير دينية"، وأسرع شيخ الأزهر ليبرق للملك بالحكم "شاكراً له غيرته على الدين من عبث العابثين وإلحاد الملحدين وحفظ كرامة العلم والعلماء".

لكن القصة لم تنته، ففى عام ١٩٤٧ كان حزب الأحرار الدستوريين شريكاً قوياً فى الحكومة، وكان يرغب فى تعيين الشيخ عبد الرازق وزيراً، وبناء على أمر الدكتور محمد حسين هيكل اجتمعت هيئة كبار العلماء ومعها المجلس الأعلى للأزهر فى ٢٥ فبراير ١٩٤٧ ووجهوا رسالة للملك فاروق جاء فيها "إن المجتمعين يلتمسون من جلالة الملك وفضله غزير على الأزهر والأزهريين أن يتفضل فيعفو عن الأثر المترتب على الحكم الذى أصدرته هيئة كبار العلماء منذ ٢٢ عاماً"، وقبل الملك الالتماس وصدر مرسوم ملكى فى ٣ مارس ١٩٤٧ بتعيين الشيخ عبد الرازق وزيراً للأوقاف.

وهكذا ثأر الشيخ لنفسه ولكتابه.

ونتأمل الحكاية المصرية كيف بدأت بأطماع ملك كان الأزهر وقودها، ثم انتهت بمرسوم ملك أراد مجاملة حكومة أقلية وكان الأزهر وقودها أيضاً.

ومع ذلك تبقى مسألة الخلافة لتخبوا ثم تعود وتحتاج إلى مزيد من المواجهة.

* * *

وبرغم كل شيء يبقى البعض متمسكًا بهذا الوهم ليس عن عشق وإنما عن مصلحة. فهذا الوهم يمنحهم وهمًا أكبر.. هو إمكانية وصولهم للسلطة، وأن يصبح أميرهم أو مرشدهم ليس مجرد مرشد لجماعة كبرت أو صغرت وإنما أميراً للمؤمنين جميعًا وفي شتى أقطار الأرض. وفي كتابه "الكامل في التاريخ" أورد ابن الأثير ما قال إنه حوار دار بين عمر بن الخطاب في أول أيام خلافته وبين المغيرة بن شعبة.. فقال:

ناداه المغيرة "يا خليفة الله" فرد عمر: ذاك نبي الله داود. فقال المغيرة: يا خليفة رسول الله فأجاب عمر "ذاك صاحبكم المفقود (يقصد أبا بكر)، فقال المغيرة إذن أناديك: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر: ذاك أمر يطول، فما كان من المغيرة إلا أن ناداه: يا عمر. فقال عمر: لا تبخس مكاني شرفه. أنتم المؤمنون وأنا أميركم". ومن ساعتها ناداه المسلمون "يا أمير المؤمنين".

ولنا على ذلك الحوار ملاحظتان الأولى هي أن هذه التسمية صناعة إنسانية أتت عبر حوار وأخذ ورد وربما كان للحوار أن يتوصل

إلى تسمية أخرى. أما الملاحظة الثانية فهى أن هذا المنصب ما لبث أن تحول وبعد رحيل ابن الخطاب إلى موقع سياسى تصارعت حوله قوى سياسية وقبلية كل أراده لنفسه أو لجماعته. ولأن الخلاف على الخلافة كان تعبيراً عن مصالح بشرية فقد نسى أصحابه أى طابع دينى له وتباروا فى صراعات مريرة خلت من أى وازع دينى وإن ظلت تستخدم الدين طلاء لذات الأفعال المنافية للدين.

وكانت الثمار مريرة فالخلفاء الأمويون كانوا ١٤ والعباسيون ٢٢ أى أن مجموعهم ٣٦ سبعة عشر منهم قتلوا غيلة، لكن الأكثر مرارة هو أن غالبيتهم كانوا من الأقارب والأبناء والأخوة.. سعياً وراء المنصب بل إن أما قتلت إبنها فى هذا الصراع المرير والدائم على السلطة. الأمر الذى دفع بالصحابى الزاهد أبو ذر الغفارى إلى القول "والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هى من كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنى لأرى حقًا يطفأ، وباطلاً يحيا، وصدقًا مكذبًا وأثره يغير تقي".

وفى خضم هذه الصراعات التى تذكرنا بصراعات القصر فى كل مكان وجدت فيه سلطة مطلقة فى العالم ظل اسم "أمير المؤمنين: مستخدمًا بالحق والباطل. وتمسك به أو بالدقة تمسح به حكام لولايات صغيرة كل منهم وأيًا كان اقترابه من الدين أو ابتعاده عنه أسمى نفسه "أمير المؤمنين". فى إمارات الشام والعراق حتى الأندلس ظلت هذه التسمية مستخدمة.

ولم تزل حتى عصرنا الحديث تستخدم، برغم إصرار كبار الفقهاء على رفض فكرة الخلافة وعلى رأسهم فى العصر الحديث

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذى قال "إن الإيمان بالله يرفع الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية، وهى دعوى القداسة والوساطة عند الله، دعوى التشريع والقول على الله بدون إذن الله، فالمؤمن لا يرضى أن يكون عبداً لبشر مثله".

ومع ذلك وحتى بعد أن اختفت دولة الخلافة العثمانية ظل موضوع الخلافة محل جدل بل وحاول البعض إقامتها تبعًا لذات الفكرة التى أوحت لحاكم مدينة صغيرة أن يسمى نفسه أميراً للمؤمنين.. كل المؤمنين فى كل العالم.

ولعلنا نذكر محاولة صالح سرية للاستيلاء على السلطة فى مصر ببضعه طلاب من الكلية الفنية العسكرية. فهو قد لقن هؤلاء الطلاب فى كتابه المسمى "رسالة الإيمان" ان التآمر "القومي" و"الوطني" مع "الاستعمار الغربى والماسونية قد حطم الخلافة العثمانية.

ومن ثم فقد هاجم كتابه كل رموز الوطن والوطنية وأسماها طقوس الشرك الجديدة ويقول "فى كل الحكومات اليوم طقوس تعيد إلى الأذهان طقوس عبادة الأصنام ومنها "تحية العلم حيث يقوم أفراد الجيش والشرطة والطلاب بأداء التحية لقطعة قماش تسمى علم الدولة ويصبح العلم فى هذه الحالة كأنه صنم تجرى عبادته". وبذات المنطق قام صالح سرية بتكفير السلام الجمهورى أو الملكى أو الأميرى وتحية قبر الجندى المجهول. وبهذا المنطق أيضًا أدان بالكفر

كل من وقف فى مواجهة دولة الخلافة فالقومية العربية وأية قومية أخرى كفر. والديمقراطية كفر. ثم يقول: "وكل من اشترك فى حزب عقائدى فهو كافر لاشك فى كفره فالأحزاب الاشتراكية والشيوعية والبعثية والقومية والاتحاد الاشتراكى كلها كافرة وكل من انضم إليها كافر، وكل من دعا للاشتراكية أو الرأسمالية كافر. وعلى أنقاض هؤلاء جميعًا أوطانًا وأحزابًا وحكامًا ستقوم دولة الخلافة أما سلاح دولة الخلافة فقد كان ثمانية عشر طالبًا من طلاب الفنية العسكرية، ورسم لهم خطة ساذجة للاستيلاء على السلطة ليتوج نفسه بهم أمير للمؤمنين، والمثير للدهشة أنه صدق نفسه، صدقها إلى درجة أنه ضبط معه عند القبض عليه بعد فشل المحاولة بيان يقول فيه "أيها الشعب الحبيب" أيتها الأمة المجاهدة الصابرة: لقد نجحنا والحمد الله صباح اليوم فى السيطرة على الحكم واعتقال جميع المسئولين عن النظام السابق".

ومثله أيضًا شكرى مصطفى، وكان مسجونًا من جماعة الإخوان وتتلمذ على أفكار الأستاذ سيد قطب وأسس تنظيمًا أسماه الجماعة المسلمة (التكفير والهجرة) وهو لم يكتف فقط بالدعوة إلى دولة الخلافة بل نصب نفسه أميرًا للمؤمنين واسمى نفسه "أمير آخر الزمان" وأنه أمير "الفرقة الناجية" وهو يؤكد فى كتابه "التوسمات" الذى تركه مخطوطًا ضمن مخطوطات أخرى (لأن المطبعة عتاد كافر) أن الإسلام إختفى من الأرض إلا من أعضاء جماعته وأن الإسلام سيعود إلى الأرض مرة ثانية، سيعود كما بدأ وبنفس

الطريقة التى بدأ بها. ويتمادى شكرى مصطفى فى توسماته فيرفض مبدأ التعلم من أجل إعمار الدنيا" وأى علم ليس من أجل الآخرة هو عبث وشرك" وحتى فى القتال من أجل إقامة "دولة الخلافة" التى أسماها "دولة آخر الزمان" فإن القتال يكون كما فعل الرسول: بالسيف، والخيل، وسوف يحارب هو برجاله صفًا فالقتال فى الصف متعلق بمحبة رسول الله. أما الطائرات والدبابات والقنابل الذرية والمناورات الحربية "فكلها أصول جاهلية أتت نتاجًا لمعصية الله، وأعدت بأموال كافرة وأصول كافرة، وقد صنعتها الجاهلية بجاهليتها وليست بإيمانها وتقواها". لكن المثير للدهشة أنه عندما أختطف الشيخ الذهبى قتله بعتاد كافر وهو المسدس.

وينسج شكرى مصطفى قصصًا خرافية عن اقتراب موعد خلافته على العالم أجمع، فعلامات القيامة تتحقق. ثم يكون المسيح الدجال وهو أعور وله علامات حددتها كتب السنة.. وبعدها يكون ظهور "جماعة الحق" .. "جماعة آخر الزمان" وأميرها أمير آخر الزمان هو السيد شكرى مصطفى.. لكن أمير آخر الزمان يقبض عليه، ويعدم.

لكن وهم الخلافة يبقى، بل ويتحقق لأمير آخر فى أفغانستان هو الملا عمر والملا هو طالب الدين الذى لم يتم تعليمه أما المولوى فهو الطالب الذى أتم تعليمه وتخرج عالمًا فى الشريعة. نحن إذن إزاء مجرد طالب فى مدرسة دينية ومع ذلك أسمى نفسه رسميًا "المجاهد الأكبر، خادم الإسلام، أمير المؤمنين ملا محمد عمر المجاهد". وقد

أسس ملا عمر إمارته على أنقاض المتصارعين على السلطة فى أفغانستان من "المجاهدين" بعد انسحاب الجيوش السوفيتية، وكان صراعهم وحشيًا. وقد بدأ حركته فى قرية "كشك نخود" حيث أخذ قطعة من قماش أبيض كتب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ورفعها على أحد مبانى القرية معلنًا قيام حركته التى تجمع حولها خمسون طالبًا. وبهم أسس دولة الخلافة التى تزايد عدد جنودها ليصل إلى ٣١٣.

ونطالع بعض معلومات عن هذه الإمارة وردت فى كتاب "طالبان العمائم والمدافع والأفيون" لمؤلف مصرى هو الأستاذ عبدالحليم غزالى وربما كان هذا الصحفى أحد القلائل الذين تلقوا "بشارة" اللقاء مع الملا عمر وأجرى معه حواراً، ويعتقد الطلبانيون أن من يقابل الملا ولو مرة واحدة لن يدخل النار مهما فعل. والمعلومات والمواقف كل منها مثير للدهشة، وفى هذا الكتاب نقرأ "عارف الله العارف نائب وزير الاقتصاد لم يدرس الاقتصاد وليس لديه أية إحصائيات أو أرقام. وعندما سأله الصحفى عن رأيه فى "العولمة" قال أنها أول مرة يسمع فيها هذه الكلمة. وملا محبوب الله رئيس فرع البنك الوطنى فى قندهار لم يدرس الاقتصاد ويقول ببساطة: ذهبت إلى كابول وتعلمت كيف تحفظ الأموال، وهو لا يعرف معنى كلمة تضخم، أما مبادئ الإمارة فهى ترفض الانتخابات فهى بدعة نصرانية، وكذلك الديمقراطية والأمير يستمع لأهل الشورى لكنه فى نهاية الأمر يعمل برأيه و إعمالاً لقوله تعالى: "فإذا عزمت

فتوكل" - لا يجوز تصوير ما فيه روح - الغناء والموسيقى ممنوعان - وقد سمح الأمير بزراعة الأفيون والاتجار فيه، وتحصل الإمارة على ذكاة الزروع من منتجيه وهى العشر ويقدر تقرير الأمم المتحدة أن إنتاج الأفيون قد زاد بنسبة ٨٤٪ فى ظل حكومة طالبان وبلغت قيمته ١٠٠ مليون دولار ، أما عن دور أسامة بن لادن فى هذه الإمارة فهو معلوم بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح.. وكذلك مصير دولة الخلافة ومصير أميرها المجاهد الأكبر خادم الإسلام أمير المؤمنين.

وتمثل جماعة الإخوان أحد أهم القوى المعاصرة التى تنادى بفكرة الخلافة وضرورة بعثها وقد امتازت بأنها أقامت تنظيماً دولياً على نمط الخلافة المنشود. وتقول الوثيقة المعنونة "النظام العام للإخوان المسلمين" الإخوان المسلمون فى كل مكان جماعة واحدة تؤلف بينها الدعوة ويجمعهم النظام الأساسي"

أما المادة الثانية فتقول "الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة تعمل لإقامة دين الله فى الأرض" ونواصل القراءة فى أهداف الجماعة منها "تحرير الوطن الإسلامى بكل أجزاءه.. والسعى إلى تجميع المسلمين جميعاً حتى يصيروا أمة واحدة" (ونلاحظ وطن إسلامى واحد وأمة واحدة على نطاق العالم). وتهدف الجماعة إلى "إعداد الأمة إعداداً جهادياً لتقف جبهة واحدة.. تمهيداً لإقامة الدولة الإسلامية الراشدة" م٣ توضح الوثيقة الهيكل التنظيمى الذى يقف على رأسه المرشد العام ومراقب عام فى كل قطر والمراقبون أعضاء فى مجلس الشورى العام" م١١ ويتشكل مكتب الإرشاد العام من

١٣ عضواً ثمانية أعضاء من مصر وخمسة يراعى فى اختيارهم التمثيل الإقليمي. والجميع فى كل الأقطار ملزمون باتباع تعليمات مكتب الإرشاد العام حول الأهداف والسياسات العامة وموقف الجماعة من مختلف الاتجاهات والتجمعات والقضايا المتنوعة أما التفاصيل فمتروكة لإخوان الأقطار فأهل مكة أدرى بشعابها.

وهكذا أقامت الجماعة خلافتها الخاصة بها على امتداد وجودها فى مختلف الأقطار سعياً وراء إقامة دولة الخلافة. ويبقى أن هذا التنظيم الدولى الذى يمنح الجماعة نفوذاً وتمويلاً واتساعاً فى مجالات الحركة، يمثل فى ذات الوقت أعباء لعل أقلها أنه يضع الجماعة وحكمها فى موقع الالتزام بما قد يؤثر على التزاماتها المصرية مثلما يجرى الآن من مجاملات لحركة حماس متمثلاً فى الأنفاق التى تعبث بالسيادة المصرية وتعبئ فى أرض سيناء قوى إرهابية تهز أركان السيادة المصرية هناك وتهدر أمن مصر كلها.

وإذ يتجدد الحديث عن الخلافة، وتشمل مساحات عدة من جدران المدن المصرية كتابات تقول "الخلافة فرض" كان من الضرورى أن نتساءل كيف؟

كيف يمكن أن يكون هناك خليفة لكل مسلمى العالم حيثما وجدوا؟ ذلك أن منطق الخلافة هو قيام خليفة واحد لكل المسلمين، يحصل على بيعتهم جميعا ويدينون له جميعا بالسمع والطاعة؟

ثم ما هو الحل مع الامتداد الجغرافى من جهوريات أسيا الوسطى الإسلامية المنفرطة عن الاتحاد السوفيتى السابق إلى افغانستان

فباكستان فاندونيسيا وصولا إلى تركيا إلى مصر إلى المغرب امتدادا حتى جيبوتى وجزر القمر بالاضافة إلى كل الاقليات الإسلامية فى كل انحاء العالم. وكيف تتم البيعة، وكيف يحكم الخليفة مع الحواجز الوطنية والجغرافية واللغوية؟

وما وضع المسلمين فى دولة كاليونان أو فرنسا وهم مواطنون لهم انتمائهم الوطنى وما يترتب على ذلك من التزامات يكون الولاء للخليفة فى المنشط المكره فى تناقض معها. مثل أداء الخدمة العسكرية والضرائب والترشح فى الانتخابات...إلخ؟

وما هو مدى امكانية خضوع المسلم الصومالى والموريتانى أو الاكوادورى مثلا لقرارات الخليفة. ومدى قدرة الخليفة على اصدار قرارات تتماشى مع الجغرافيا والتاريخ والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى كل البلدان التى فيها مسلمون. ومدى قدرة المسلمين على الالتزام بهذه القرارات معرضين وضعهم كمواطنين فى هذه البلدان إلياخطر أو حتى سوء الفهم؟

وفوق هذا وذاك ما علاقة الخلافة بالإسلام كمعتقد ديني؟ والاجابة لا علاقة للإسلام باختراع موهوم.

بدلا من الخاتمة

إذا زرت يا مولاى قبر محمد
وقبلت مثوى الأعظم العطرات
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك من ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات

أحمد شوقى

إيضاح جدير بالمعرفة

كان مقصودى من كل ما سبق من كتابة أن استكمل ولو بقدر محدد ذكرياتى أنا فى معترك العمل السياسى والصحفى والنضالي. ولم أسمح لنفسى بأن انسب إليها ما لم افعله أنا، فذلك ظلم لرفاقى من قادة الحزب الجدد ومن كوادره وابطاله الذين خاضوا ببسالة معارك شجاعة يتعين أن تنسب لأصحابها فهم أجدر بها وبالكتابة عنها.

ومن ثم فإن احداثا ومواقف وبيانات وممارسات عديدة جديدة كانت فى ذاكرتى وتبقى فى ذاكرة رفاقى لكن لها اصحابها وهم أولى بها.. مثل أحداث ٢٥ يناير كاملة. ودور المقر المركزى الذى فتح أبوابه أمام الجميع وأقام عيادة طبية واستراحة للجميع بغير تمييز، ومنها معارك اعتصام فترة يناير وما بعدها سواء فى التحرير

أو الاتحادية. ومعركة ٢٤ اغسطس الباسلة ودور ابطال معروف من اعضاء الحزب واصدقائه ومحبيه فيها، ومعركة تمرد ومشاركة التجمع فيها المعلن منها وغير المعلن حتى الآن.. وكل علاقتى بها أننى سهلت مساهمة الحزب فى طباعة مليون استمارة.

ولتكن هذه الكتابة فى نهاية الأمر حافزا للجنة التى شكلت لكتابة تاريخ الحزب أن تواصل اصداراتها لتحكى للناس حاضرا ومستقبلا من هو حزب التجمع؟..وماذا فعل ؟

وإلى ماذا يسعي؟

مع تحياتى لكل رفاق الدرب الراحلين والحاضرين والآتين.

رفعت السعيد

٢٢ يوليو ٢٠١٦

المحتوى

- لماذا؟ وكيف؟ 5
- العاشرة والنصف صباحا (١٣ ابريل ٢٠١٦)
أخيرا اتغلب على كل شيء لأبدأ 9
- سنوات مبارك الاخيرة 13
- حكاية الرجل الغامض 35
- جَمال.. اللقاء الأول والأخير 39
- مع الوزير عمر سليمان 49
- جلسة الشورى الأخيرة 57
- وزير داخلية سابق 61
- إنقاذ من؟ 63
- مسألتان لا يمكن تجاهلهما 75
- ثم المجلس العسكرى 79
- مع الفريق 85
- ثم لقاءات المشير 91
- مجرد اقتباسات من صراع مفتوح 113
- مقالات 115
- عن الخلافة وأوهامها 131
- بدلا من الخاتمة 157
- ايضاح جدير بالمعرفة 158